سلسلة روايات

0

المجهول إكس

UNKNOWN-X

خالد أمين

البناية 106

دار دون

خالـــد أميـــن

البناية ١٠٦

رواية

دَوِّن
للنشر و التوزيع

maktabbah.blogspot.com

أكبر مكتبة للكتب و الروايات الحصرية

والمميزة والنادرة بصيغة PDF

تابعونا على الموقع الرسمي

www.maktabbah.blogspot.com

أو على قناة التيليجرام

t.me/alanbyawardmsr

ما قبل التمهيد

مئة ألف جنيه.. وشقة تمليك في التجمع.. وفتاة في العشرينيات.. تصبح ملكك دون أسئلة.. وتفعل أي شيء تريده.. هذا هو عرضي لك.. مقابل حياة زوجتك

هناك شيء ما..

شيء مروع..

سوف يحدث في البناية ١٠٦

maktabbah.blogspot.com

تمهيد

الممر كان صغيرًا ومظلمًا كقلب أرملة.. الأرضية كانت ناعمة وتتموج أسفل قدمك وأنت تسير عليها.. نسيم الهواء يداعب مؤخرة عنقك في دلال.. رنا كانت ترتدي فستانًا قصيرًا يتموج فوق جسدها النحيف وهي تسير في الممر.. في نهاية الممر كانت الظلال تتراقص ويمدون أيديهم لرنا منتظرين وصولها.... استيقظت رنا من الحلم.. نظرت لانعكاس وجهها في مرآة السيارة التي تقودها على طريق القاهرة - إسكندرية وحيدة بلا سيارات أخرى في قلب الظلام.. وجهها المستطيل وأنفها المدبب وعيناها الواسعتان شديدتا السواد اللتان يشعرانك أنهما سوف يسلبون أغوار روحك ويفضحون كل أسرارك الدفينة.. نقترب من الكاميرا من المذياع الذي خرج منه صوت مكتئب متحشرج يقول بآلية: وعلى هذا فقد هرب كريم السنباطي من المصحة منذ ثلاث ساعات ومن المعروف عن هذا المختل النفسي ابن العشرينات أنه شديد الخطورة والدهاء ويتميز بصلابته الجسدية وقد اغتصب وقتل ثلاث فتيات قبل إيداعه في المصحة..

تنقسم الشاشة لنصفين.. على يسار الشاشة ترتكز الكاميرا على المذياع وعلى اليمين نرى وجه رنا وهي تستمع وتعقد حاجبيها..

- وقد هرب كريم من مصحة (.....) الواقعة بالقرب من طريق القاهرة - إسكندرية

تعود الشاشة لوضعها الطبيعي وتخرج رنا لفافة تبغ من سروالها الجينز وتشعلها قبل أن تنفث دخانها في هدوء وتغمغم: تبا.. تلك الأشياء لن تحدث لي.. ولا تنامي وتحلمي مرة أخرى وأنت تقودين سيارتك أيتها الحمقاء.

ثم تصلبت يداها على مقود السيارة وهي ترى سيارة معطلة على جانب الطريق.. يقف جوارها سائق ضخم البنية يرتدي معطفًا أسود طويلًا.. وجهه يكتنفه الظلام فلا تراه.. إنساب التوتر بنعومة في جسد رنا وزادت

maktabah.blogspot.com

الفتاة من سرعة السيارة وهي تتجنب النظر للرجل.. أيكون هو كريم؟..

بطرف عينيها لمحت الرجل ينظر إليها في تركيز.. رنا كانت ترتدي قميصًا أبيض مفتوح الصدر مشدودًا على جسدها وقلادة سوداء.. شعرها الأسود القصير معقوص للوراء.. سيارتها الفضية الصغيرة التي تصرخ في وجهك أنها سيارة نسائية ترتبط بشخصية رنا ارتباط فمك بفم فتاتك.. غمغمت رنا: لا أراك.. أنت لست حقيقيًا.. أنت لست حقيقيًا..

في مرآة السيارة وهي تبتعد لمحت الرجل يجري وراء السيارة ويشير إليها أن تتوقف.. زادت رنا من سرعة السيارة وهي ترتجف.. أتتوقف السيارة بسبب عطل ما لأنها سيئة الحظ أم أنها ستبعد عنه؟...

أطلقت رنا زفرة ارتياح عندما أصبح الرجل بعيدًا عن مجال رؤيتها.. ربما كان يريد منها أن تساعده وربما يكون السفاح.. لن تعلم أبدًا ولا تمتلك الفضول الكافي كي تعود أدراجها وتعرف..

- ومن المعروف أن كريم السنباطي لم يكتف باغتصاب ضحاياه فحسب بل قام بتعذيبهن وأكل أجزاء من أجسادهن وهن على قيد الحياة..

امتدت يد رنا في عصبية وأطفأت المذياع وهي تطلق سبة.. لماذا كان عليها أن تسافر الإسكندرية وحيدة في هذا الأسبوع؟..

غمغمت لنفسها: تلك الأشياء لن تحدث لي.. لا تقلقي يا فتاة..

من بعيد تلاحت لها محطة الوقود في الأفق.. ببطء تحركت عيناها لتفقد العداد.. السيارة بحاجة للوقود.. أدارت رنا المحرك ببطء وأبطأت من سرعة السيارة وهي تتحرك تجاه المحطة.. احتضن الظلام محطة الوقود واكتنفها الهدوء يقبلها في هدوء.. بينما جثم عليها الفراغ كطفل مشاغب.. ولوهلة انتاب رنا شعور مفاجئ بالوحدة فور ولوجها للمحطة وكأنما الأخيرة سلطت الضوء على أجزاء من حياتها.. امتدت يد رنا لتلتقط علبة التبغ قبل أن تتذكر أنها في المحطة فأطلقت سبة ناعمة وانسابت بسيارتها للأمام.. من بعيد تلاحى لها عامل المحطة.. كان منكفئًا في ركن ما في

maktabah.blogspot.com

أقصى اليسار وأمامه شيء على الأرض لم تتبينه رنا.. كان شابًا في العشرينيات متين البنيان الشحم على وجهه.. اعتدل ونظر إليها ولثوان تلاقت أعينهما.. أينظر إليها هكذا لأنها فتاة حسناء وحيدة أم أن هناك سببًا آخر؟.. اعتدل الفتى وبدأ يتحرك تجاه سيارتها.. تفقدت رنا الفتى وهو يتقدم اتجاها.. ملابسه لا تتناسق مع حجم جسده على الأطلاق.. يديه شديدتي الغلاظه وهنالك تعبير قاسي على وجهه.. تعبير من اللامبالاه ام السأم؟.. ايكون هو كريم؟.. جاء للمحطه وقتل العامل وانتحل شخصيته.. ايكون هذا جسد العامل الذي كان السفاح منكب فوقه؟.. ام أن جنون الشك قد اصابها اخيرا؟.. اعتصر الخوف قلبها الصغير الذي بدأ يرقص كفأر حبيس بين ضلوعها.. هي لن تجازف أن تبقي كي تعرف..

فجأه توقف الفتى وهو على مقربه من سيارتها وتبدل تعبير وجهه وهو ينظر للسيارة قبل أن يفتح فمه كأنه يهم أن يصرخ في رنا وهو يرفع ذراعه اتجاهها.. انطلقت قدم رنا تضغط المكابح وانتفض جسدها وهي تتراجع بالسيارة للخلف وتدير المكابح في عنف قبل أن تنطلق من السيارة مبتعدة متجاهلة الفتى الذي بدأ يعدو وراءها وهو يصيح شيئًا لم تلتقطه أذن رنا..

تتراجع للكاميرا للوراء ويشمل المشهد الطريق الخالي والسيارة المسرعة فوقه تنهب عجلاتها الأرض نهبًا.. تتحرك الكاميرا من أعلى من منظور الطائر المحلق وهي تتابع السيارة قبل أن تبدأ الكاميرا في الاقتراب تدريجيًا وبنعومة من السيارة..

رنا كانت دامعة العينين تشنج بينما الطريق يتلاشى أمامها.. بدا لها أن أرضية الطريق تتموج بنعومة أسفل عجلات السيارة.. وبدا لها أن هنالك ظلال ترقص في مجون وتتعانق في نهاية الطريق.. ومن وسط الرؤية الضبابية والمبتلة وسط دموعها أدركت رنا أنها وحيدة تمامًا..

توقفت بالسيارة على جانب الطريق وبدأت تبكي.. حاولت أن تشعل لفافة تبغ لكن يدها المرتجفة لم تساعدها.. أغمضت رنا عينيها وأخذت

maktabbah.blogspot.com

نفسًا عميقًا تموج على أثره عنقها الطويل والرائع.. غمغمت الفتاة لنفسها: كوني قوية.. كوني قوية.. هم ليسوا حقيقيين..

ترتكز الكاميرا على رنا وهي جالسة في المقعد الأمامي تنظر للا شيء أمامها.. في الخلفية وعلى اليسار نلمح ظل الرجل المختبئ في المقعد الخلفي الذي بدأ يعتدل في هدوء..

يتوقف الرجل على الطريق ذي السيارة المعطلة وهو ينظر للسيارة قبل أن يشير لشيء ما وهو يصيح لرنا لكنها تهرب ولا تسمعه

يتبدل تعبير وجه عامل محطة الوقود عندما يقترب من السيارة ويرى الرجل المختبئ في المقعد الخلفي فيشير لرنا ويصيح لرنا لكن الأخيرة تبتعد في خوف ولا تسمعه

وقت الغروب.. قبل حلول الليل.. هناك شجرة ما فوقها بومة أمام الاستراحة على الطريق حيث رقدت سيارة رنا التي ذهبت للتناول الطعام في الاستراحة..

علي انعكاس عيني البومة التي تنظر للمشهد في لامبالاة نرى كريم السنباطي وهو ينسل لسيارة رنا ويتكور على نفسه في المقعد الخلفي.. تشيح البومة بوجهها مبتعدة وتظلم الشاشة معلنة نهاية المشهد

اعتدل كريم ونبش ظهره وجسدد وهو يرفع رأسه عاليًا.. أمامه جلست رنا التي بدأت تتمالك أعصابها وأشعلت لفافة التبغ أخيرًا ونفثت دخانها.. سمعها تقول لنفسها: كوني قوية يا فتاة.. هذا كله وهم..

علي يسار الطريق ومن نافذة السيارة رأى كريم قطًا أسود نحيفًا يتحرك في قلق على الطريق.. توقف القط ونظر لكريم.. وتبادل الاثنان النظرات.. على انعكاس عيني القط نرى كريم.. أصلع الرأس.. شديد النحافة.. متوسط الطول.. عريض المنكبين في الآن ذاته.. وتبدو عليه الصلابة وشدة العصب.. غليظ العنق والفك.. أذنان غير متناسقتين مع وجهه.. أنفه مستطيل وله فم صغير كالأطفال.. يرتدي الرداء الأبيض الخاص بالمصحة

maktabah.blogspot.com

لكن الشحم فوقه جعله أسود.. هنالك الكثير من الدماء السوداء الجافة على يديه.. يرفع القط رأسه وينظر لوجه كريم.. نقترب بالكاميرا من رأس كريم قبل أن ندلف إلى عقله.. بالداخل لا يداهمنا سوى الظلام.. ونرى الكثير من الأبواب المغلقة.. ثم نلمح بابًا موارِبًا.. نقترب منه بتوجس ونمد يدًا مرتجفة نفتح بها الباب.. يداهمنا صوت الصراخ في قوة داخل الغرفة.. ونرى الكثير من الأمعاء والأشلاء البشرية في كل صوب وسط الظلام.. هناك ساطور ضخم يقبع في المنتصف... تتسع عيني القط على الطريق في فزع.. نتراجع للوراء بسرعة.. يهز القط رأسه قبل أن يعدو مبتعدًا بعدما قرر أنه لا يريد معرفة كريم أكثر من هذا..

تتحرك الكاميرا من منظور رؤية كريم ونرى رنا الجالسة أمامه كيفما يراها كريم.. عارية مكبلة اليدين دمائها نافورة ثائرة بينما أمعاؤها خارجة معدتها تلتف حول عنقها في نعومة وهي تشنج بينما مقلتا عينيها فارغتين فلا يقابلك سوى تجويف أسود.. بعينين لا حياة فيهما ظل كريم ينظر لرنا التي أدارت محرك السيارة وبدأت تتحرك للأمام...

تنهدت رنا وفتحت زرًا آخر من قميصها وهي تزفر.. تحرك كتفيها في جاذبية وهي تتنهد.. ليتها تكون في فراشها الآن.. لن تسافر وحيدة مرة أخرى.. كل مرة تقول لنفسها هذا.. هي تعيش لوحدها.. فراشها هو أقرب صديق لها الآن.. تريد أن تذهب إليه وترتمي في حضنه وتغمض عينيها.. تريد أن.. في الثانية الآتية توقفت كل أجهزة رنا عن العمل قبل أن تعود وتعمل بشكل مضاعف.. قلبها يدق بسرعة كأنما الشيطان يعتصره.. معدتها تتقلص كأنما أمعاؤها ثعابين ترقص بالداخل.. يديها تتصلبان قبل أن ترتعشا كأنها في ليلة زفافها.. هناك رجل في المقعد الخلفي.. هناك رجل في المقعد الخلفي.. لقد رأته.. تلك هي الثواني المعدودة التي تحدد وتغير حياتك للأبد.. قرار سوف تأخذه في تلك الثواني المحدودة يترتب عليه كل شيء.. هي تمر بتلك الثواني الآن.. سمعت الكثيرين يتحدثون عن تلك الثواني لكنها لم تمر بها من قبل.. انطلق عقلها يعمل ويحلل في كل صوب.... لقد رأته.. لكنه لا يعلم أنها رأته.. لكنه اعتدل.. وهذا معناه أنه

maktabah.blogspot.com

سيهم بانقضاضته.. هو حقيقي.. وفي مقعدها الخلفي.. زادت رنا من سرعة سيارتها بجنون.. لن يفعل لها شيء وهي تقود بتلك السرعة.. سيخاف أن تنقلب بهم السيارة.. أم أن المجانين لا يخافون.. زادت رنا من سرعة السيارة أكثر..

لقد رأته.. أدرك كريم هذا.. لهذا تقود بتلك السرعة الجنونية..

نرى يدي كريم تنقبضان استعدادا للانقضاض على عنق رنا..

نرى وجه رنا يملأ الشاشة.. نقترب من رأسها.. نرى الأفكار المجنونة المتلاحقة داخل عقلها في شكل ظلال ترقص في جنون.. لن تستلم الآن.. نرى هروبها من أهلها وهي مراهقة.. نرى حياتها وهي وحيدة.. نرى أصدقاءها وهم يستغلون الفتاة التي تحاول الحياة الوحيدة.. نرها وهي تدرس وتعمل كي تدعم نفسها.. ونراها وهي تبكي وحيدة بعدما نبذها الجميع.. نراها تحاول الانتحار.. نراها تعود مرة أخرى وتقاتل.. نراها في شركة ما.. نراها في سيارتها ذاهبة للإسكندرية لتزور أهلها الذين لم تراهم منذ سنين للمرة الأولى..

نرى يدي كريم تقتربان من عنق رنا..

نرى رنا تصرخ: أنت لست حقيقيًا..

ثم تدير مكابح السيارة في عنق.. من أعلى نرى السيارة تنقلب على يمينها مرتين متتاليتين قبل أن تصطدم بالسور الضخم على جانب الطريق.. ثم تهمد حركة السيارة تمامًا وهي مقلوبة على ظهرها كمراهقة تركها حبيبها بعدما سلبها جسدها.. تقترب الكاميرا من السيارة ببطء.. هناك دخان.. هناك زجاج مهشم.. يد ملقاة خارج السيارة ينساب فوقها وبخجل خيط من الدماء ترى العالم الخارجي للمرة الأولى.. لثوان يسود الصمت تمامًا.. وكأنما الحياة كلها قد توقفت في تلك اللحظة ولا نسمع شيئًا على الإطلاق..

قبل أن ينسل جسد رنا من زجاج النافذة المهشم وهي تئن خارج

maktabbah.blogspot.com

السيارة.. وتزحف الفتاة ببطء على الطريق اللامبالي.. قبل أن تعتدل وترتمي على ظهرها وهي شاهرة ذراعيها لأعلى وهي ترمق السماء.. هناك دماء تنساب من رأسها وقليل من الزجاج في عنقها الجذاب.. نرى جسدها والمتصلب وهو يحدق في الفراغ.. قبل أن نراها تتنفس.. وتحاول الاعتدال في صعوبة.. ثم تقف في هدوء.. ممزقة الثياب.. دماؤها تنساب.. لكنها لا تزال موجودة.. وستصل لنهاية الممر اللعين.. في الخلفية وراء رنا الواقفة نرى السيارة المقلوبة.. ولا نجرؤ على تفحصها لنرى إن كان هناك ناجون آخرون...

تتجه رنا بخطى مرتجفة للسيارة.. تنحني ببطء.. أهو لا يزال على قيد الحياة؟.. أسينقض عليها؟.. أم أنها نجت؟.. لا بد أن تعلم.. ترى رنا جثة كريم وهو شاخص البصر لسقف السيارة.. ثم ترى الوريقة الصغيرة في يده.. كأنها رسالة يريد أن يعطيها إياها.. تمد رنا يدها وتلتقط الورقة المطوية.. تقرأ ما بداخلها

- احذري البناية ١٠٦..

عقدت رنا حاجبيها في عدم فهم وخوف.. الحقيقة أن رنا كانت تعمل في الشركة القاطنة بالبناية.. ١٠٦

من بعيد حلقت بومة مبتعدة ونظرت البومة لرنا في تعاطف وكأنها تقول لها: لا يوجد شيء اسمه الصدفة يا صغيرتي

*****

الفصل الأول

رفعت البومة فوق الشجرة رأسها تنظر إلى شيء ما في قلب الليل ونرى على انعكاس عينيها كارم العدوي وهو يسير مترنحًا في الزقاق الخالي.. الدماء تغرق صدره.. وهناك العديد من الكدمات على وجهه.. كان يبدو كملاكم خرج من الحلبة أو كشاب مصري في حالته المزرية تلك.. بدا أنه يجر نفسه ويحاول أن يستجمع أي طاقة كي يواصل مسيرته.. وصل كارم

maktabah.blogspot.com

لنهاية الزقاق ووقف أمام بناية ما.. أمام البناية كان يجلس متشرد طويل الشعر واللحية يرتدي ثوبًا ممزقًا.. تبادل كارم النظرات مع المتشرد لوهلة قبل أن يقول الأخير بصوت متحشرج وهو يضحك: إنهم قادمون أليس كذلك؟.. أنت قد قابلتهم.. يبدو عليك أنك قابلتهم..

تجاهل كارم المتشرد وبدأ يتحرك تجاه البناية.. قال المتشرد مبتسمًا: احذر البناية ١٠٦..

توقف كارم ونظر للمتشرد.. وتبادل الاثنان النظر في صمت..

نتحرك بالكاميرا ببطء تجاه البناية بينما يتخلل أذننا صوت الهدوء.. في الطابق الرابع جلست ماجي اسماعيل في شقتها متوسطة الحجم.. كانت تجلس أمام حاسبها الآلي وهي تجرع من قدح الكابتشينو الخاص بها.. ثم عادت برأسها للوراء وتماوآت كالقطط قبل أن تعود للاب توب مرة أخرى.. غمغمت ماجي لنفسها: لا نوم في تلك الليلة يا فتاة..

نتحرك بالكاميرا في الشقة تاركين الفتاة على أريكتها.. نرى المطبخ الصغير من الطراز الأمريكي المطل على الصالة والردهة متوسطة الحجم ذات الأريكة قوية الشخصية في المنتصف والكراسي المتناثرة حولها محاولين مغازلة الأريكة دون جدوي.. هناك شرفة غفل عنها الزمن تختبئ وراء ستارة بيضاء تنتظر أن يستخدمها أحد كمراهقة رومانسية.. هناك ردهة متوسطة الطول تقودك لغرفة النوم وترتمي على يميننا دورة مياه أنيقة بها بانيو من الطراز الإيطالي.. الشقة كانت بسيطة وأنيقة في الآن ذاته كماجي.. نمر على صور هناك وهناك.. صورة لماجي مع مديرها في العمل هشام الكهل العجوز الذي تعتقد لوهلة عندما تراه أنه تركي وليس مصريًا.. نرى ماجي وهشام ورفقاءها في العمل في صورة أخرى في مكتب هشام للمحاماة الجنائية.. نتحرك بالكاميرا بنعومة ونقف عند صورة أخرى وهي ترتدي ثوب المحاماة وتتظاهر بالجدية.. ثم نرى صورة لماجي وهي طفلة مع والديها.. كان هذا قبل أن يتوفى الاثنان في حادث سيارة تاركين ماجي لعمتها التي توفت مؤخرًا.. لا نرى صورًا لماجي مع أصدقاء..

نعود مرة أخرى للأريكة التي حملت ماجي فوقها في خفة كالقطة.. نقترب بالكاميرا من رأس ماجي بهدوء وهي جالسة متربعة أمام الحاسب قاطبة الجنين وتبدو شديدة الجاذبية وهي تركز في عملها هكذا.. داخل عقلها نجد الكثير من الفراغ الأبيض وبعض الأبواب السوداء المغلقة.. والقليل جدًا من الذكريات.. نخرج من رأس ماجي وننظر للفتاة.. في أواخر العشرينيات.. فارعة القامة.. لها شعر بني داكن متوسط الطول.. ترتدي عوينات سوداء تجعلك تشد شعرك في جنون وتصيبك حمى تقبيلها.. كتفاها مستديران في أناقة.. لها وجه مستطيل وعينان واستعان وفك صغير قوي الشخصية وأنف مدبب..

تنهدت ماجي وهي تنظر لشاشة الحاسب.. قبل أن يرن جرس الباب.. نظرت ماجي للباب في توجس قبل أن تتجه عيناها تلقائيًا لساعة يدها.. الرابعة فجرًا.. ثم رن هاتفها المحمول.. اتجهت يد ماجي والتقطت الهاتف

- ألو

- ماجي أنا كارم.. افتحي

لم ترد ماجي.. وقفت في صمت واتجهت للباب ونظرت من العين السحرية.. ثم فتحت الباب.. دلف كارم بهدوء وهو يجاهد كي يمشي ثم ارتمى على إحدى الأرائك في صمت.. نظرت له ماجي في عدم فهم ثم أغلقت الباب.. ساد الصمت تمامًا قبل أن تقول: ما الذي حدث؟

نظر إليها كارم.. كانت ترتدي قميصًا أبيض وشورت رمادي.. ابتسم بجانب وجهه بصعوبة قبل أن يقول: أنت عدت للعمل منذ ساعات لكنك نسيت القميص وظللت تعملين من بيتك لهذا الحين..

تجاهلته ماجي وعادت السؤال: ما الذي حدث؟

غمغم كارم بصعوبة: شيء ما.. في البناية ١٠٦

كارم كان فارع القامة.. رياضي الجسد.. له شعر اسود داكن قصير ولحيته شبه نامية.. يرتدي تي شيرت رمادي مزين بالدماء وسروال جينز..

عيناه بهما سخرية مخيفة..

- أتلك دماؤك؟

هز كارم رأسه في إيجاب..

- أنت بحاجة لطبيب؟

لم يرد كارم..

تنهدت ماجي ثم جلست أمامه غير مدركة لما يجب أن تفعله.. لا أحد يعلم من هو كارم العدوي.. ولا حتى ماجي نفسها.. الفتى بلا رقم قومي وغير مدرج في أي سجلات.. لا أحد يعلم وظيفته.. ولا من أين جاء.. كل ما تعرفه ماجي أنه في إحدى القضايا رشحه لها هشام أن يساعدها.. ومنذ ذلك الحين نشأت بينهما نوع من علاقه العمل.. أحيانًا كانت تطلب منه مساعدتها في بعض القضايا.. هو لم يزرها في بيتها من قبل.. أحيانًا كانت ماجي تشعر أنه أقرب شيء لكينونة الصديق بالنسبة إليها لأنها بلا أصدقاء.. وهشام ليس فقط مديرها هو بمثابة أبيها الروحي وهي تعلم أنه يفكر فيها كابنته المشاغبة.. وكون كارم جاء عن طريق ترشيح هشام جعلها تثق به تلقائيًا إلى حد ما.. بداخلها كانت تعلم أن كارم مثلها.. بلا أصدقاء.. وأنها طلبت مساعدته في العديد من القضايا من قبل وقد كان موجودًا دوما.. ربما وجوده في بيتها الآن لأنه سيطلب مساعدتها للمرة الأولى.. كيف كان كارم يساعدها؟.. نظرت إليه ماجي وواصلت تفكيرها.. العدوي له عقل غريب نوعًا ما.. يستطيع التحليل والتخمين وملاحظة تفاصيل عادة لا يلاحظها أحد..

فتح كارم فمه وتكلم وتوقف سيل أفكار ماجي.. قال في هدوء مرة أخرى: شيء بشع حدث في البناية ١٠٦

تعود عقارب الساعة للوراء:

ركن كارم العدوي الدراجة البخارية على جانب الطريق.. تنهد بقوة

ووقف أمام البناية الصغيرة المكونة من الطوب الأحمر..

المكان: حي الملتحين - السيدة عيشة

الزمان: الثالثة صباحًا

- أنت عارف أنهم بيقولوا الساعة تلاتة دي ساعة الشيطان يا كارم

نظر كارم للفتى القادم تجاهه يلوك علكة ويطوح ذراعيه يمينًا ويسارًا في إهمال ولامبالاة وهو يتبختر..

- أنا عارف المعلومة دي عشان أنا كنت مسيحي قبل ما أكون مسلمًا

لم يرد كارم.. فقط ظل ينظر للفتى في صمت..

- عايز إيه بقه الساعة دي..

ظل كارم ينظر للفتي في صمت.. عينيه.. المخدرات.. الخمر.. كان يجاهد كي يظل واقفًا.. لكن المدية في يده كانت هناك كأنها قطعة من جسده.. لا تجاهد كي تبقى..

اقترب الفتى من كارم ورفع المدية في وجه الأخير وأردف بحدة مصطنعة: كارم العدوي.. الأفاق الشهير.. آه أنا سمعت عنك.. ابن الأكابر اللي جاي يتشطر على سواق ميكروباص عشان عاكس واحدة ملهاش لازمة.. روح لأمك يا كارم.. هاها.. آه صح أنت تلاقي أمك ماتت.. وأبوك برده.. أنت اللي زيك ملهومش أهل..

رفع الفتى يده وضعها على عنق كارم وأردف بلهجة تهديدية: أنت طلعت ولا نزلت متشرد ملكش لازمة.. حرامي وطفاش قفال.. بس أنا بقه البلطجي مش أنت.. أنا حمادة الفهلوي.. فروح يا كارم وعديها ليلة يا أبو خالو..

وضع كارم يده في جيبه.. اتسعت قدحتي عيني الفتى وهو ينظر ليد كارم.. أخرج العدوي علبة سجائر.. أشعل لفافة تبغ.. ثم استدار لليمين..

هدأ الفتى وتراخى جسده المتحفز.. غمغم كارم: أنت تتحدث كثيرًا..

ثم أردف مبتسمًا وهو ينظر للمدية: أسلحة بدائية

اقترب حمادة من كارم

نلتفت بالكاميرا للحائط الضخم المقابل للرجلين والذي انعكست عليه ظلالهم.. نرى ظل كارم يخرج سكينًا حادًا من جيب سرواله ويغمده في معدة حمادة قبل أن يرفع الأخير مديته..

يصدر حمادة صوت تحشرج ويبصق دمًا.. ثم يسقط أرضًا كالبالون المثقوب.. لم يبدو أنه يشعر بذرة ألم.. المخدرات.. الخمر.. حمادة الفهلوي سائق الميكروباص لن يذهب لورديته غدًا..

نظر كارم لجسد الفتى المتهالك.. نظر يمينًا ويسارًا.. لا يوجد أحد.. حمادة لا يزال ينتفض على الأرض ودماؤه تزين الأسفلت.. غرز السكين في معدة الفتى مرة أخرى.. انغرزت ببطء.. وبصعوبة.. ولثوان لم يحدث شيء.. ثم انسابت الدماء بهدوء.. بخجل.. كعذراء تبتسم لحبيبها المخادع محاولة إرضائه..

غمغم حمادة: فينك يا أمه.. ثم أغمض عينيه.. وخلد للسبات العميق

اعتدل كارم ونظر لجسد الفتى ثم اتجه للدراجة البخارية..

تقترب الكاميرا من رأس كارم وهو يستقل الدراجة البخارية مترنحًا ويدير المحرك قبل أن يتحرك بها.. تنقسم الشاشة.. علي اليسار نرى كارم على دراجته.. علي اليمين نرى خيطًا من الذكريات داخل عقل كارم.. يمسح كارم بعض الدماء المنسابة من أنفه على اليسار بينما على اليمين نرى

الفتاة التي أقلها حمادة على عربته في الصباح وتحرش بها.. وجاء كارم ليثأر لها.. ربما كان يعود حمادة ليؤذيها.. ربما كارم كان يبالغ.. لكنه شعر بالقلق على تلك الفتاة التي ركبت جواره في العربة ولم يعرف حتى

اسمها.. لم يرد أن يحدث لها شيء.. كارم العدوي يمتلك شيئًا يدعى المخيلة.. تلك المخيلة اللعينة في رأسه التي تجعله يضع نفسه مكان الآخرين.. يخمن أجزاء من حياتهم.. يرى ما يرونه.. يفكر كأنه هم.. هذا ما حدث مع الفتاة وضع نفسه مكانها.. الفتاة ابنة الطبقة المتوسطة التي تمر بجحيم المواصلات وتعتصرها قبضة القاهرة التي لا ترحم.. تخيلها وهي تبكي على فراشها غير قادرة على النوم إثر انتهاك حمادة لجسدها.. تلك الإهانة والذل.. هذا الشعور الممض في حلقك.. وقرر كارم أن يفعل شيئًا..

تعود الشاشة لوضعها الطبيعي.. يتوقف كارم جوار مدافن السيدة عيشة.. يلقي الدراجة التي سرقها من أحد ما جانبًا بلامبالاة ويدلف للمدافن.. يستلقي بهدوء جوار إحدى الشواهد.. تدور الكاميرا حوله.. الظلام.. الهدوء.. يبتسم كارم بجانب وجهه.. قبل أن يستلقي على ظهره.. تتراجع الكاميرا للوراء ونحن نرى كارم.. لوهلة نراه وهو طفل صغير يعدو وهو يبكي في حقل ضخم وحيدًا.. يزيد من عدوته.. نرى قصر ضخم على البحر.. ونرى سيارة منقلبة.. نرى ملجأ أيتام.. وسيركًا متنقلًا..

أغمض كارم عينيه وبدا أن الظلام يبتلعه وهو يحاول النوم.. لوهلة أراد كارم أن يبكي.. لكنه لا يبكي.. ليس هو.. أرغم نفسه على الضحك.. قبل أن يبدأ في الضحك فعلًا.. وبصوت عال يتردد صوت قهقهته وسط المدافن حيث يجلس الموتى ويحلمون..

في السادسة صباحًا اعتدل كارم في رقدته وأشعل لفافة تبغ نفث دخانها في هدوء قبل أن يستقل الدراجة البخارية ويعود لشقته ويخلد لنوم عميق بلا أحلام.. شقة كارم كانت شبه خالية من الأثاث اللهم إلا من لوحة ضخمة على الحائط تمثل ذئبًا ضخمًا ينظر لمجموعة من الحملان مع على هضبة تطل على وادٍ ضخم.. استيقظ كارم بعد نوم وشرب العديد من القهوة السوداء قبل أن يمارس تمارينه الرياضية ويعدو في النادي لمدة ساعة ثم عاد وجلس وحيدًا في الشقة وظل يقرأ قليلًا رواية لرايموند شاندلر.. ثم أصابه السأم فقرر أن يذهب ليتجول قليلًا في قلب المدينة..

كارم كان يسير بهدوء وسط الزحام.. يمر من جنبه رجل يتظاهر بالأهمية مع زوجته وابنته.. نظر كارم بطرف عينيه للرجل.. يبدو كأنه محامٍ أو محاسب.. لا يهتم سوى بجمع المال.. يعامل زوجته كقطعة أثاث.. نظر للزوجة.. أيًا كان ما لديها من طموحات رومانسية وهي شابة فقد تخلصت منهم جميعًا في أقرب صندوق قمامة وتحولت لكائن شرس يجابه الحياة.. تذكر كارم مقولة ديكارت: ليحذر من يحارب من أن يتحول لوحش.. نظر كارم لابنتهم المراهقة.. بدت شاردة.. لا بد أنها تعيش في عالم آخر منعزلة عن والديها ومحاولتهما للتحكم بها.. غالبًا ستقابل فتى يستغل رغبتها في البحث عن الاهتمام والحب ويغرر بها ويحطم قلبها.. وغالبًا هناك فتى ما يحبها ولا تبادله هي الإحساس وستقوم هي بتحطيم قلبها.. هز كارم رأسه وواصل مسيرته.. مرت جواره فتاة منقبة تسير مع صديقتها الشقراء.. بدا له أن المنقبة قوية الشخصية للغاية.. كانت تعمل في دولة ما خارج مصر.. وتعيش مع صديقتها تلك.. لا تعبث مع هؤلاء الاثنتين.. ثم لمح بطرف عينيه متشردًا طويل الشعر واللحية على جانب الطريق.. قبل أن تلتقي عيناه بعيني شاب يسير وحيدًا يبدو عليه التصميم.. يحلم أن يعمل ويحقق نفسه ويلتزم بمعتقدات أهله كي يكسب دنيته وآخرته.. لمح سائق أجرة يصطاد المارة بعينه.. ويبدو وكأنه...

نتراجع بالكاميرا للوراء ونحن نرى المارة بعين كارم.. نرى أجزاء من حياتهم وشخصيتهم.. هذا يخون زوجته.. تلك يتحرش بها أبوها.. هذا سيخطب قريبًا.. هذا لص.. نعود بالكاميرا لوجه كارم.. يبدو لنا وكأن الزمن قد توقف قليلًا.. وقال كارم في هدوء: مجانين..

تظلم الشاشة معلنة نهاية المشهد

الحقل الأخضر كان ضخم.. وكارم الصغير كان يعدو عليه بقوة وهو يبكي.. يعدو لنهاية الحقل..

أفاق كارم من أفكاره عندما رن هاتفه..

- ألو

- كارم أنا هشام.. تعال للمكتب

مكتب هشام للمحاماة الجنائية كان خاليًا في هذا الوقت من الليل.. اللهم إلا من ضيفة تجلس في مكتب هشام.. نظر هشام لكارم وهو يدلف للمكتب..

هشام هو الوحيد الذي يعلم القليل عن كارم.. يعلم كيف يأتي كارم بقوت يومه.. يعلم ما هو أكثر عن حياة كارم من أنه مجرد أفاق يعيش يحب البحر والاستماع بالحياة.. يعلم عن الجانب المظلم للعدوي.. ويعلم أيضًا أنه عندما يحتاج لطريقة غير رسمية في حل قضية ما فإن كارم هو رجله.. تذكر هشام لوهلة عندما دلف كارم للمكتب تفاصيل لقائه الأخير للمرة الأولى ثم نفض الأفكار عن رأسه وأشار لكارم بالجلوس..

جلس كارم بهدوء وجال بعينه بين هشام وضيفته.. هشام يوكل لكارم بنوعين من القضايا.. القضايا التي يساعد فيها كارم وماجي.. والقضايا الأخرى.. التي يقوم بها كارم لوحده.. وتخمينه أن ما سيلي من النوع الثاني..

نظر للضيفة..

قالت رنا بهدوء: هشام قال لي إنك الوحيد القادر على مساعدتي..

- ومن طريقة كلامك يبدو أن هشام هو " عمو هشام بالنسبة لك "

- نعم.. أنا أعرفه منذ كنت طفلة.. وقد ساعدني من قبل.. في.. إمم.. بعض الأزمات الشخصية

- آه هه.. عمو هشام له قلب كبير

هز هشام رأسه وقال: لا داعي للسخرية يا كارم..

قاطعت رنا هشام وقالت: لقد سمعت عنك في بعض الأوساط.. كارم العدوي.. البعض يقول إنك أفاق..

- هذا شيء لطيف ويطرب قلبي دوما

- لقد كان هناك سفاح في سيارتي

- رائع.. هذا هو التجديد بعينه

- أنا جادة.. لقد كان هناك سفاح في سيارتي.. ويحمل ورقة.. بها تحذير.. نص الورقة كان يقول: احذري البناية ١٠٦

- آه هه..

بدا لكارم أن الأمر مثير.. لقد كان يكره دوما السأم ويعشق الغموض.. أشياء كتلك كانت تعطي الحياة معنى بالنسبة له..

واصلت رنا: وأنا عملي في الشركة الموجودة بالبناية ١٠٦

*****

الفصل الثاني

المكان:مركز اتصال " كول سنتر" البناية ١٠٦

الزمان: نوبة عمل بعد منتصف الليل "آوفر نايت شفت"

تتحرك الكاميرا لليمين ببطء وتظهر لنا ظلال العاشقين الملتحمين على حائط غرفة المراقبة " الكواليتي " الخالية.. لنسمع موسيقى خفيفة منبعثة من مكان ما.. لنرى المكتب الخالي الذي تتوسطه الكراسي المقابلة للعديد من الحواسب الآلية حيث يجلس مراقب الجودة في الصباح ويسمع مكالمات ممثل خدمة العملاء في الشركة..

خارج المكتب تقبع دورة مياه صغيرة وردهة ضخمة وصالة صغيرة خجولة..

حيث توجد غرفة الاستراحة.. هناك نافذة لا تظهر لك شيئًا.. الجدران لونها أبيض.. هناك مكيف هواء شرس ومروحة صغيرة مهملة لا تعمل بها الكثير من التراب لكنها تظل رابضة بكبرياء فتاة مصرية وسط صف من

اللبنانيات وأحيانًا كانت تداعب الكرسي العجوز في الركن..

ارتمت هدير في حضن بكر وضحكت بخفة قائلة: أنا لا أصدق هذا الذي نفعله.. وفي غرفة الكواليتي

تدور الكاميرا ببطء حول العاشقين في منتصف الغرفة وهما يتحدثان..

ابتسم بكر وشعر بالانتعاش عندما تسللت إلى أنفه رائحة شعر هدير الرائعة قبل أن يقول: من حسن الحظ أن الكواليتي بيشتغلوا الصبح بس

ضحكت هدير مرة أخرى قبل أن تقول: لو وجدنا أي أحد في الشركة الآن لا أعتقد أننا سنجد أى فرصة عمل مرة أخرى..

نرى بكر وهدير في منتصف الرؤية بينما الكاميرا تواصل استدارتها حولهم.. نرى الحواسب الآلية وراءهم.. ونواصل استدارتنا فنرى مكيف الهواء قبل أن نمر على الحائط الأبيض الخالي.. نمر بالنافذة التي لا تظهر لنا شيئًا في العالم الخارجي..

زاد بكر من احتضانه لها قبل أن يقبلها ويقول: أنت تستحقي المخاطرة

بكر كان متوسط الطول.. نحيفًا.. أصلع.. مشدود الفك وجاحظ العينين قليلًا.. وعندما يستثار كانت عيناه تزدادان في الجحوظ.. لأسباب كتلك كانت هدير لا تنظر في وجهه مباشرة وهما سويًا..

هدير كانت مستطيلة الوجه.. نحيفة هي الأخرى.. سوداء الشعر.. عينان سوداوين.. فك قوي وأنف كبير قليلًا..

في ركن ما كانت ملابسهم مرتمية بإهمال على الأرض..

قميص أبيض وسروال أسود لبكر وفستان أسود قصير خاص بهدير..

تواصل الكاميرا استدارتها حول بكر وهدير.. نرى الحواسب الآلية والمقاعد الخالية.. نمر بالحائط الأبيض الخالي.. نرى ظل شخص ما على الحائط.. نمر بالنافذة التي لا تظهر لك شيئًا..

نظرت هدير لوجه بكر قبل أن تقول مرة أخرى مبتسمة: أنا لا أصدق أننا نفعل هذا في الشركة

تنهد بكر قبل أن يقول: لقد اقترب البريك " وقت الراحة " من الانتهاء.. علينا أن نعود يا قطتي..

ولثوان تبادل الاثنان النظر في صمت.. ربما هي حماسة المخاطرة أو فعل الممنوع.. ربما هي الفاكهة المحرمة بالنسبة لبكر وهو المغامرة المثيرة بالنسبة لهدير.. أيًا كان السبب.. فإن المخاطرة كانت تزيد من إثارتهما وحماسهما في لقاءتهما تلك..

تزيد الكاميرا من سرعتها قليلًا وهي تدور حولهم.. ندور بشكل عكسي.. نمر بمكيف الهواء.. النافذة التي انعكس على مرآتها كيان شخص ما يقترب منهم.. الحائط الأبيض الخالي..

نتراجع بالكاميرا ونرتكز على بكر وهدير..

لنقترب من ساعة يد بكر.. لنعود بعقارب الساعة ٤ أشهر للوراء

*****

الإنترفيو

في غرفة الموارد البشرية جلس بكر أمام مسئول الموارد البشرية.. الأخير كان شابًا تبدو عليه السماجة واللامبالاة.. الغرفة كانت صغيرة بلا روح ولا شيء يقبل ذاكرتك كي يتعلق بها.. بكر كان يرتدي تي شيرت أسود وسروال جينز وساعة يد.. مسئول الموارد البشرية كان يرتدي قميصًا أبيض وسروالًا أسود قماشيًا وهويته في العمل تدلت من على قلادة في عنقه لتدلي لك باسمه وصورته في فخر..

نرتكز بالكاميرا من أعلى.. تبدأ المقابلة

مسئول الموارد البشرية: إزيك يا بكر.. اسمي عصام.. أنا أعمل هنا في الشركة كمسئول موارد بشرية.. أنا لا أعلم إذا كنت تقصيت عن شركتنا أم

لا وعلى هذا دعني أخبرك القليل عنا.. إننا شركة اتصالات موجودين منذ عام ٢٠٠٢ وقد توسعنا خارج مصر ولنا فروع في.....

ينهي عصام باقي تعريفه قبل أن يطلب من بكر أن يعرف نفسه

بكر: إحم.. حسنا.. اسمي بكر عبد السلام.. خريج نظم ومعلومات.. عملت من قبل عدة أعمال في قسم المبيعات في عدة شركات.. وأحب كرة القدم والتلفاز..

مسئول الموارد البشرية: لماذا تريد الانضمام إلينا؟

صمت قليلًا قبل أن يرد بكر: أنا بحاجة للعمل..

مسئول الموارد البشرية: أيمكنك أن تخبرني أهم ميزة وعيب فيك؟

بكر: عملي يأتي على حساب حياتي الشخصية.. هذا هو العيب.. الميزة أنه عندما يكون لدي شيء مطلوب مني في عملي لا أتوقف قبل أن أعمله..

بكر يفكر: إجابة زائفة كقبلة حماة لعروس ابنها لكنهم يحبون الهراء..

نسمع صوت عقارب الساعة وتظلم الشاشة..

*****

التدريب " التريننج "

المكان: قاعة تدريب الموظفين الجدد في كول سنتر البناية ١٠٦

الزمان: السبت.. ٤ أغسطس.. ٢٠١٧

المدربة كانت تدعى ندى.. كانت شقراء.. نحيفة.. شديدة الجمال والأناقة.. قاعة التدريب كانت واسعة ومهيبة.. في آخرها صالة عرض تقف أمامها ندى في بساطة وتتحرك بخفة كالقطط وهي تمزح وتضحك في خفة مخيفة جعلت الأربعين فرد الجالسين أمامها في المحاضرة يتساءلون في انبهار عن مهارتها وشجاعتها كي تقف أمامهم جميعًا وتسيطر على

مجرى التدريب بتلك الطريقة وتجذب انتباههم بكلامها.. ندى كانت مدربة بارعة ولا يستطيع أحد أن ينكر هذا.. بعض من الجالسين كان يواجه مشكلة في تقبل حقيقة أنها ذكية أو ذات مهارة وظلوا يمزحون مع باقي زملائه بعدما خرجوا في مرارة عن حال البلد وكيف أن البنت الحسناء تحصل على كل شيء لتكوينها الجسدي فحسب.. بعضهم قال له إن أي فتاة في مصر تعاني الأمرين كي تنزل وتبتاع شيئًا من البقال فحسب بسبب التحرش وخلافه لكن الطرف الأول لم يسمعه..

نتحرك بالكاميرا وسط المحاضرة ونقترب من أحد الصفوف حيث يجلس بكر ينظر لندى..

* * * * *

طابق العمل "الفلور"

بعدما انتهى تدريب بكر ونجح الأخير في اختبار ما قبل العمل الذي سقط فيه الكثيرون وخرجوا ساخطين وهم يسبون الشركة - بعضهم كان يسب الشركة بالفعل بعدما عرفوا أن المرتب يختلف وبه العديد من الخصومات عن المرتب الأصلي الذي قيل لهم بعد المقابلة لكنهم ظلوا صامدين حتى الاختبار قبل أن يتساقطوا كالذباب في يوم التنظيف – ذهب للفلور أو طابق العمل..

وقف بكر في هيبة وهو يرى أمامه كل تلك الرؤوس التي ترتدي السماعات وتتحدث في الآن ذاته على آلاف المكالمات الواردة للعملاء الغاضبين.. لوهلة شعر بازدحام في رأسه وأراد أن يصرخ في جنون.. كل تلك الأصوات المتداخلة.. كيف يسمع أي أحد أحد ها هنا؟.. ثم لمح بطرف عينه رجلًا أسمر بدينًا له شعر أكرت يقف بهدوء ويتحرك تجاهه.. البدين كان يرتدي قميصًا مشجرًا وسروال جينز.. له وجه مستدير خشن وعينان غائرتان.. لا يمكنك أبدًا أن تقرأ ما يدور في عقله.. توقف البدين أمام بكر ومد له يد غليظة وابتسم في عجرفة نازية قبل أن يقول: أنا أحمد التيم ليدر " مديرك في العمل "..

مر أول شهر على بكر بطيئًا كمعاناة امرأة تلد توأم.. كان يواجه مشكلة لأن نوبات عمله متغيرة وليست ثابتة المواعيد وأحيانا كان ينزل في نوبة عمل بعد منتصف الليل.. قبل أن يقابل هدير ويتغير كل شيء..

رآها في غرفة الاستراحة " البريك آريا ".. كانت منزوية في الركن في تأهب متوتر كقطة جديدة شقية في بيت لا يحب أهله القطط.. وتلاقت أعينهما لوهلة قبل أن تشيح هدير عينيها عنه في لامبالاة.. نظر بكر بعيدًا.. ولمحها بطرف عينيه وهو تعود لتنظر له مرة أخرى فابتسم..

أغلقت هدير باب غرفتها على نفسها واستلقت على فراشها محاولة تجاهل أصوات عائلتها بالخارج..

خلعت الروب الذي يغطي جسدها..

كانت مرتمية على فراشها وهي ترتدي رداء نوم قصيرًا أبيض.. تصلب عنقها وارتفع صدرها وهي تداعب نفسها.. أغمضت عينيها وابتسمت ثم خلدت للنوم..

في الحلم لم تر هدير شيئًا..

في الصباح ارتدت هدير بلوزة وسروال جينز وذهبت للشركة..

في غرفة استراحة الشركة وقفت هدير..

تلاقت أعينها مع أعين بكر..

سيحاول أن يتودد إليها.. هذه هي طبيعة الرجال.. هي تعلم هذا..

ستتحاشى النظر إليها.. لن يرها.. ولو رآها سيعتقد أنها لم تره.. عليها أن تتفادى تلاقي الأعين.. لو حدث هذا سيأتي ليكلمها.. ستنظر بعيدًا.. هيا.. انظري لتلك الفتاة البدينة هناك.. وهذا ال.. تبا تلاقت أعينهما.. تقلصت معدتها..

نظر بكر بعيدًا ولم يبد اهتمامًا لمرآها.. توقفت أفكار هدير لثوان ثم عاد القطار على القضبان مرة أخرى.. آه.. من الواضح أنه غير مهتم.. لا دبلة في

يده.. ربما يكون غير قادر.. أو شاذ.. لا بد أنه كذلك.

استند بكر على الحائط وهو يفكر.. أيذهب ليتحدث معها.. هو يريد أن يذهب.. لكنه لا يريد أن يكون مبتذلًا ومثله مثل أي حد.. لكن كونك متميزًا يعني أن فرصة التحدث مع الفتاة ستضيع.. تبا.. هيا يا رجل.. أنت لا بأس بك..

دلفت ندى المدربة لغرفة الاستراحة وهي مبتسمة.. وذهبت لتأتي لنفسها ببعض الكابتشينو..

ولمحت بطرف عينها هدير تقف في الركن ثم نظرت إلى بكر.. اتجهت إليها ندى وعلى وجهها ابتسامة مطمئنة ومريحة ووقفت تتحدث مع الفتاة.. قبل أن تستدير لبكر وتشير إليه أن يأتي.. بخطوات هادئة تداري توتره اتجه إليهم بكر – بكر.. هذه هدير.. هي جديدة في الشركة.. أريد منك أن تأخذها في جولة وتعرفها على المكان..

نظر بكر لندى.. هو جديد في الشركة أيضًا.. لماذا تطلب منه ندى هذا؟.. أيًا كان السبب فهو غير مهم.. إنه الحظ فاردًا لك ذراعيه ويأخذك بين أحضانه الدافئة..

بعد أربعة شهور..

ارتدت هدير ملابسها وقالت لبكر المستلقي على الفراش يتأمل جسدها:

بحبك

ابتسم ولم يرد..

نظرت له ثم تحركت صوب الباب.... قال لها من ظهرها: وأنا كمان بحبك..

لم يرها وهي تبتسم قبل أن ترحل..

أغمض بكر عينيه وحاول أن ينام لكنه لم يستطع..

ثم فتح عينيه عندما شعر بكيان آخر فوقه.. هدير.. متي عادت؟ لا يهم.. همست له في أذنه: أريد أن أكون معك.. لا أريد العودة للمنزل

خفق قلب بكر.. وضع يده على وجهها وقال: لن تعودي..

حدث الأمر بسرعة مخيفة.. الزواج.. الماديات.. الانتقال من السيدة زينب لمصر الجديدة.. الأقساط.. الديون.. السيارة الصغيرة.... استخراج الأوراق الحكومية.. إلخ إلخ..

وكل يوم بعد ذلك.. يذهب بكر وهدير للبناية ١٠٦ حيث يعملان

المكان: مصر الجديدة - الكوربة

الزمان: التاسعة مساء

لنقترب من وجه تلك البومة الراقدة على الشجرة.. لندخل إلى رأسها.. لنطير معها.. ننظر من خلال عينيها الزجاجية.. الشارع.. المارة.. السيارات الفارهة.. الحسناوات.. الرجال ذوي المحافظ الممتلئة.. الأرصفة.. متسول نائم.. لنرى ابن الطبقة المتوسطة يسير مع فتاة محجبة وسط هذا الجو محاولا إبهارها.. لنرى سائق الميكروباص يتحرش بفتاة.. لنرى ملتحيًا وزوجته ينظرون في الاتجاه الآخر..

لنرى سيارة قادمة من بعيد.. وأضواءها تنعكس بقوة لتملأ الشاشة..

لتقف البومة أمام تلك البناية.. بناية أنيقة من سبعة طوابق على طراز فيلا بها حديقة وسور ضخم يحيط بها..

جدران بيضاء نظيفة.. زجاج النوافذ معتم ومظلم لا يعكس شيئًا عما بالداخل.. لا يوجد حارس عقار ولا سيارات رابضة أمام البناية..

فقط الطراز المعدني المعلق على المدخل المنحوت عليه بخط واضح رقم البناية.. ١٠٦

أخذت الشركة الطابق الرابع والخامس والسادس.. في الطابق السادس جلست مدام ريهام المديرة التنفيذية في مكتبها الضخم.. لقد وفرت لها

الشركة شقة صغيرة في الطابق الخامس في ذات البناية تعيش بها ريهام مع والدتها..

تتحرك الكاميرا بنعومة بشكل أفقي أمام البناية وتقف عند كل نافذة لترينا جزءًا من حياة قاطني البناية.. نتوقف عند شقة مدام ريهام بعد أن نمر بشقة الرجل البدين الجالس يبكي وحيدًا.. وشقة الفتاة المراهقة التي تلعب التمارين في غرفتها بينما والداها يتناولان العشاء في الصالة..

*****

شقة مدام ريهام

-الخبر سيكون في الصفحة الأولى؟

همست ريهام بالسؤال في نعومة واتكأت بظهرها على المقعد للوراء

ريهام في منتصف الأربعينيات.. قصيرة.. ترتدي عوينات سوداء.. بشرتها بيضاء بقوة.. وجه مستدير وجسد شبه ممتلئ.. كانت ترتدي قميصًا أزرق مفتوح الصدر وسروالًا أبيض قماشيًا..

ربما كان يجب أن يشعر رامي بالإثارة بسبب قميصها مفتوح الصدر لكنه لم يشعر بشيء.. ربما كان يجب أن ينبهر.. يقفز ويقف على مقعده ويعض لسانه.. لكن الفتاة لم تكن مثيرة.. في الحقيقة كانت مزعجة قليلا..

أشعلت لنفسها لفافة تبغ ونظرت له في صمت..

جالت عينا رامي في الغرفة.. مقعد بلا شخصية.. مقعد آخر مماثل قبالته.. جدران صفراء تشعر بأنهم يقبضون على صدرك تدريجيًا.. ربما تنطبق عليهم الغرفة ويموتون منهرسين في تلك اللحظة.. كذا فكر رامي

- الخبر في الصفحة الأولى؟

نظر إليها رامي ولم يرد.. نظر إلى انعكاس وجهه في مرآة منزوية في ركن الغرفة الكئيبة جوار مكتب عليه حاسوب آلي مفتوحًا..

تنهد رامي.. كان بحاجة لسيجارة.. لمشروب مثلج.. لقبلة فتاة.. لساعة من الزمن دون أفكار مضطربة داخل عقله.. كل ما كان يملكه هو إجابة سؤال ريهام

نفثت ريهام دخان السيجارة وقالت: أنا منصتة.. تحدث..

- الخبر سيكون في الصفحة الثالثة

- آه

- ليس كل ما يتمناه المرء يدركه

- آه هه

- آه هه

- إذن لماذا الاستجواب؟

- أريد أن أتأكد من أني أفهمك بشكل صحيح

- أنا مجرد مديرة تنفيذية مهتمة بمعرفة ما الذي يحدث.. كما قلت لك هي ابنة عمي وقد تعرضت للتحرش.. اتصلت بي مذعورة ذات ليلة وقالت لي جملة واحدة.. هناك شيء بشع في مصر.. علينا أن نحاربه بالإعلام.. هذا هو واجبي

- لكنك لا تهتمين كثيرًا بابنة عمك

لم ترد ريهام.

ابتسم رامي في إرهاق وأردف: هناك نمط ما في العائلات المصرية.. ولاد العم عادة ليسوا على أي درجة من القرابة.. مجرد مجموعة من الغرباء.. ولاد الخال يتصرفون كالأقارب أحيانًا.. ولاد العم؟ كلا.. أنت لم تهتمي بابنة عم بعيدة لم تريها سوى مرتين في حياتك.. وهي لم تهتم بك كثيرًا.. هي اتصلت بك فحسب بسبب وظيفتك.. لكن الفضول هو وقودك أليس كذلك.. إلا أنك خائفة من الاقتراب من النار.. لهذا أرسلتني بدلًا منك

لتحرير الخبر.. الفضول ينتابك.. ما الذي سيحدث.. أسيلفت الأمر الرأي العام أم سيكون مجرد حادثة أخرى مؤسفة لا تثير اهتمام أحد.. لو حدث الاحتمال الأول أستظهرين في البرامج الإعلامية كبطلة مدافعة عن حقوق المرأة ومحاربة للفساد.. ولو حدث الاحتمال الثاني ولم تثيري اهتمام أحد سوى أمن النظام.. استعرض أنا لمشكلة بدلا منك..

- أنت وافقت أنا لم أجبرك على شيء

- أنا لا أهتم

- أنت رجل كئيب

- الجميع يقول هذا

- حسنا.. و؟

- وماذا؟.. فقط كي تعلمي الأمن سينتظر.. لو لفت الخبر الرأي العام وأثار ضجة أنت في أمان.. لو مر مرور الكرام ستكون عليك العين كفتاة مشاغبة

بدا عليها التردد لوهلة.. كانت فتاة ذكية.. ثرية بالوراثة.. ستصبح بدينة بعد عدة أعوام وتتزوج فتى أخرق عالي الصوت يمزح كثيرًا.. ستذهب معه وطفلها للنادي كل جمعة.. ستدخن وتتظاهر أنها لا تعلم أن زوجها المستقبلي يخونها..

ربما ليست بهذا الذكاء.. لكنها ترددت لأنها تعلم.. تعلم بداخلها أن بعض الأشياء لو رأيتها أو سمعت عنها.. لن تصبح الأمور كما كانت من قبل..

قررت أن تعدل من أسلوبها

- رامي أنت صديقي..

- كلا.. أنا زميلك في العمل.. مسئول التسويق للشركة وصحفي سابق وجارك لأن الشركة وفرت لي شقة في البناية مثلك لسبب لا أعلمه..

تظاهرت ريهام بالإهانة..

- يا ريهام

- أيوه يا مامة جايه

ذهبت ريهام للمطبخ.. جلس رامي وحيدًا.. كان أبيض البشرة شعره الأصفر الناحل منزاح للوراء.. فارع القامة متوسط الحجم عريض المنكبين.. عازب.. يعيش وحيدًا.. أصوله تعود للشرقية.. كان يرتدي حلة رمادية أنيقة.. عادت ريهام وقالت له: في الصفحة الثالثة

- آه هه

- حسنًا.. شكرًا لمساعدتك على أي حال

- ممم

وقف رامي ورحل في هدوء

في طريقه للمصعد لمح كارم ورنا يدلفان لمدخل الشركة.. نظر له رنا في ود وقليل من الحماسة وتظاهر كارم بالود الاجتماعي لكن رامي تجاهلهم ودلف للمصعد

غمغم كارم في سخرية: يا له من رجل وقح

ثم همس كارم لرنا: دعيني أفهم هذا جيدًا.. تلك الشركة هي كول سنتر.. وعلي خلاف باقي الشركات ذات نفس المجال مقرها ليس في القرية ذكية بل في تلك البناية السكنية بمصر الجديدة.. وأي أحد يتزوج حديثًا يأتون له بشقة في ذات البناية.. لم أعلم أن مصر بها تلك الشركات الكريمة.. وهناك سفاح ما قد هرب وهو يحمل ورقة تحذرك من البناية تلك.. آه.. وأليست الحياة رائعة؟

نظرت له رنا ولم ترد..

خطة كارم كانت بسيطة.. رنا خائفة وتريد أن تفهم.. سيمثل الاثنان أنهما تزوجوا حديثا.. وينتقلون كي يعيشوا سويًا في البناية ١٠٦.. خطة كارم كانت بسيطة.. عندما يكون هناك تحذير ما كل ما عليك هو أن تتأهب

وتنتظر.. وفي الحين ذاته سيكون هو الحارس الشخصي لرنا..

شقة كارم ورنا:

رنا كانت نائمة.. بينما جلس كارم في الصالة مغمض العينين يفكر.. ها هو ذا في قبضة المجتمع الخانقة في بيت ما مع فتاة فاتنة يعيش دور رجل متزوج.. يا لسخرية الحياة ويا للأدوار العدة التي عاشها.. ثم ذهب عقله لتفاصيل قصة رنا.. لماذا حمل السفاح ورقة تحذر رنا من البناية؟.. أكان هروب السفاح وولوجه لسيارة رنا صدفة؟.. ما هو الشيء المميز في البناية ١٠٦؟

شقة بكر وهدير:

أحقًا حدث كل هذا؟

جال التساؤل بنعومة في عقل هدير المستلقية على فراشها الجديد ترمق السقف..

قليلة هي الأوقات التي تشعر فيها هدير بالرخاء.. براحة البال.. بعدم الحزن أو القلق أو الضيق أو اللامبالاة التي تتعامل مع كل المشاعر السابقة..

ابتسمت لنفسها وشعرت بالنشوة تغمر جسدها.. نعم هي سعيدة..

تتذكر أول مرة حاول بكر أن يقبلها.. كيف رفضت وتشاجرت معه.. تتذكر من هم قبل بكر.. تتذكر أسرارها التي لم تبح بها حتي لأقرب أصدقائها.. انعزالها عن عائلتها.. الوحدة.. ثم جاء بكر لتبوح له بكل شيء.. لتعطي لها جسدها وروحها.. وكانت تعلم في قرارة نفسها أن النهاية ستكون سوداء.. مثله مثل غيره.. سيرحل في النهاية بحجة ما مبتذلة ويخلف وعده.. لكنه بقي.. وحتى عندما قال لها إنه يريد أن يتزوجها.. كانت تعلم أن ذلك لن يحدث..

أنماط الحياة تقول إن ذلك لن يحدث.. الرجل المصري لا يتزوج فتاة

ذهب معها للفراش.. هو يتزوج عذراء ويترك تلك التي أعطته عذريتها لتنهشها الضباع الجائعة..

لكن ذلك لم يحدث.. وها هي الآن.. تشعر أنها أفرغت ما في جوفها.. حياة جديدة.. معدة نظيفة.. بلا ذكريات قبيحة مختلطة.. بلا ألم..

تراخى جفني هدير وانساب النوم إليها بخلسة دون أن تدري كساعات عمرك وهي تضيع منك..

في الحلم رأت هدير نفسها ترتدي فستانًا أبيض وتسير في حقل مضيء باللون الأبيض تجاه عزبة مهجورة كريهة الشكل.. شعرت بالدهشة.. هي لم تر عزبة في حياتها ولم تخط خارج القاهرة.. لكن منطق الأحلام ألا تندهش.. كانت تسير ببطء.. بنعومة.. كانت تشعر أنها ثقيلة.. وجدت نفسها عارية فجأة.. النباتات في الحقل تحتك بجسدها العاري.. واصلت سيرها.. انسابت الدماء من كتفها العاري لتسيل على النبات.. واختفت الدماء داخل النبات لينبت منها ذراع آدمية طويلة ملوثة بالدماء..

نظرت هدير إلى ذراع وابتسمت ورفعت يدها وعقدتها على يد الذراع الآدمية.. ثم ازدادت ابتسامتها واقتربت من الذراع وبدأت في لعقها وتقبيلها ثم احتضنتها ودمعت عيناها

لندور بالكاميرا لليمين تاركين هدير على الفراش.. الغرفة كانت واسعة.. جدران بيضاء.. ضوء أصفر... منضدة ومرآة وفراش.. حمام صغير في ركن الغرفة

لنخرج من الغرفة.. ردهة على يسارها دورة مياه أخرى أكبر من السابقة.. مطبخ في نهاية الردهة على اليمين.. وغرفة أخرى خالية قبالته إلا من دولاب ضخم.. هناك صالة متوسطة الحجم

بها أربعة كراسٍ ومنضدة أخرى صغيرة..

في دورة المياه جلس بكر يرمق الفراغ..

أحقًا حدث كل هذا؟

ذلك اليوم الذي عرض فيه على هدير الزواج.. لم يعتقد حقا أنه قادر على فعلها.. مرتبه المتوسط في وظيفته الرتيبة..

لم يرد أن تقيم معه الفتاة في الجحر الذي يقيم به.. حقا هي تعيش في الحارة مثله لكنه أراد الابتعاد عن كل التلوث وآثام الماضي.. أراد بداية جديدة..

باع الجحر الذي ورثه من جده ودراجته وازاد من ساعات عمله واقترض بضمان وظيفته مبلغًا من البنك.. ثم وفرت له الشركة شقة في البناية ١٠٦

الآن أصبح معه المال.. لكنه لم يعتقد على الرغم من هذا أنه قادر على القيام بباقي خطوات..

التفاصيل الصغيرة اللعينة التي أرهقته.. الاتفاق مع أهلها.. ابتياع الأثاث.. الأقساط.. البحث عن شقة إيجار جديد في منطقة راقية..

البداية الجديدة..

لكن الأمر مر بسرعة.. ربما الحلال ليس صعبًا بعد كل شيء..

كما أن هدير سهلت عليه المشوار.. كلما شعر بالإرهاق أو بالضيق كان يجدها بين ذراعيه تعطيه متعًا لا يحصل عليها أحد عادة.. وهذا كان بمثابة الوقود له..

وها هو ذا الآن.. جالسًا في دورة مياه شقته الجديدة يفكر.. وحبيبته شاغلة أفكاره لم تكن على بعد أميال بل في غرفة النوم المجاورة تنتظره.. أحيانًا تكون الحياة رائعة..

خرج بكر من دورة المياه وذهب لغرفة النوم.. أوقظ هدير.. مارسا ألاعيبهما لساعة إلا ربع ثم خلد بكر للنوم..

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة

شقة كارم ورنا

في الحلم كان كارم في سن المراهقة ينسل خائفًا إلى شقة أحدهم في مدينة نصر وقت الغسق.. كانت الشقة خالية ومظلمة.. ولم يجد كارم شيئًا يسرقه..

هناك ألم في عينيه.. الرؤية ضبابية قليلًا.. عيناه تزوغان.. يتحرك في الظلام.. يرى بطرف عينيه أشياء تتحرك يمينًا ويسارًا.. يسمع صوت شيء يتكرر كل حين وآخر كأحدهم يتشنج.. يعتصر الخوف قلبه.. يسير تجاه غرفة النوم.. يزيح الباب وينظر إلى مشهد يثير فزعه.. يسمع أصواتًا وضوضاء رتيبة وخافتة تقترب منه.. يرى الأطياف بطرف عينيه تتحرك بسرعة.. يتراجع في رعب.. ومن النافذة يرى غرابًا ينظر إليه في صمت..

فتح كارم عينيه.. رنا نائمة كالملائكة غالبًا في غرفتها.. واصل كارم نومه في الصالة

*****

شقة بكر وهدير

نرى العروسين نائمين متعانقين وظل شخص ما ينظر إليهما..

لنترك العروسين في الشقة.. لنتحرك ببطء كي لا نوقظهما.. لنخرج إلى الممر الخارجي.. لنتجاهل النظر إلى شقة ريهام المديرة التنفيذية للشركة.. لنترك المصعد ونتحرك على السلالم المظلمة الخالية إلا من قطة ضالة هنا وهناك.. لنصعد إلى الطابق الأعلى حيث هناك شقة خالية وشقة مسكونة..

لندلف للشقة المسكونة..

أصغر حجمًا من شقة بكر.. صالة وغرفة نوم واحدة.. مطبخ مفتوح على الصالة ودورة مياه..

لا توجد أي ضوء.. فقط ظلام.. ورائحة رتيبة تجتاح أنفك عندما تدلف

للشقة..

هي ليست رائحة كريهة ولا رائحة ذكية.. فقط رائحة رتيبة قانطة لها شخصية ناتجة عن وجودها منذ فترة طويلة.. عندما تستمر الرائحة لفترة طويلة وتبقى تكتسب الشقة شخصية هذا أمر لا شك فيه.

لنرى الرجل فارع القامة المستلقي على الفراش.. ترى اللفاف الطبي الأبيض حول وجهه.. القماش يغطي كل صوب.. ترى يده المكشوفة وجلده الأسود المحروق فتدرك سبب اللفاف على وجهه..

تدور بعينيك في غرفته المظلمة فترى شهادة تقدير ملقاة بإهمال في ركن مكتوب عليها: شهادة تقدير للمهندس أحمد عبد القادر

تدور بعينيك مرة فترى صورة شبه ممزقة تمثل رجلًا وزوجته المحجبة وطفليه.. عائلة أخرى تتظاهر بالسعادة..

قبل أن يتعرض المهندس أحمد للحريق ويسقط القناع الحضاري عن وجه كل من ارتداه.. في البدء أبدي الجميع تعاطفهم مع المهندس الذي كان يعيش حياة جيدة ويؤدي واجباته الاجتماعية بحماسة.. ثم اختفى الجميع بعد أن أدركوا أنه قد انتهى.. والجميع يشمل زوجته وابنتيه الصغيرتين.. لنتراجع للوراء تاركين المهندس.. المهندس أحمد كان أحد قاطني البناية ١٠٦ الذين لا يعملون في الشركة..

لتظلم الشاشة تدريجيًا معلنة نهاية المشهد

*****

الفصل الثالث

لتتحرك الكاميرا بزاوية مائلة وتسير تدريجيًا مع أشعة الشمس المنعكسة على عدستها.. لنرى الشمس تعوم بنعومة في السماء.. لنتحرك مع الشمس.. ونعبر هذا المبني الزجاجي الشاهق.. للنظر بالكاميرا لأسفل..

لنرى تلك الفتاة التي ترتدي حلة أنيقة وتشير لسائق الأجرة أن يقف لها كي يقلها لعملها في الصباح المبكر

لنرى المارة يتحركون.. وجوههم بلا تعبير.. الآلات تستعد ليوم إنتاج آخر مقابل الطعام والمسكن.. لنترك هؤلاء الآلات التي يدعونها بالبشر ونعود مرة أخرى للشمس.. لنراها تختفي خلف مبنى شاهق آخر..

لنقترب من المبني ونمر على طوابقه.. نرى من خلال نافذة رجلًا بدينًا يقف أمام مرآة

لنتركه ونتحرك لأعلى.. لنرى تلك الحسناء ذات رداء النوم القصير مستلقية بنعومة في فراشها.. تقول لك بدلال إن الحياة لا يزال فيها أمل.. لنتركها ونتحرك لليمين.. شقة فارغة بها صورة في برواز لأسرة تتظاهر بالسعادة..

نرى الشمس مرة فنترك المبنى ونسير معها.. نتوقف وننظر لأسفل.. نزوم بالكاميرا إلى كارم نامي اللحية ذو الحلة غير المهندمة.. كان بالخارج يبتاع بعض السجائر وهو الآن عائد للبناية ١٠٦

فارع القامة.. ناحل شعر الرأس.. مستطيل الوجه.. هناك سواد قوي أسفل عينيه.. وعلى وجهه نظرة من اللامبالاة.... ولم يهتم من الذي سيلاحظ هذا.. كان يحاول أن يتظاهر بأنه جاد لكنه فشل.. حلته السوداء تقول هذا بوضوح..

كان يقف أمام البناية.. المبنى لم يكن في نفس فريق المباني الفاخرة جواره.. المبنى يقول لك كأنه يبصق: أنا مبنى مختلف.. نظر كارم للبناية

قبل أن يقول محدثا إياها: لم لا تدلي لي بأسرارك؟

دلف كارم للمبنى..

المصعد كان من الطراز الحديث.. تذكر كارم مصعده الملجأ الذي عاش به لوهلة في طفولته.. كان مصعدًا عجوزًا حديديًا صدئًا يصدر صوت أنين عندما يتحرك.. يحمل قليلًا من كبرياء داعرة في الخمسينيات تتنافس مع أخرى في العشرينيات.. من المصاعد التي ستراها في فيلم القاهرة ٣٠ وبين السماء والأرض.. لكنه الآن موظف متزوج في شركة خاصة ما ذات مصعد حديث.. ابتسم العدوى

دلف للمصعد وضغط زر الطابق السادس..

التفت العجلة الضخمة وتحرك المصعد.. في نفس الوقت تحرك المصعد المجاور له قادمًا من أعلى..

في المصعد الجوار كانت امرأة بدينة تبكي.. تلاقى المصعدان لوهلة من الزمن ثم واصل كل منهما طريقه..

خرج كارم ذو اللحية النامية من المصعد واتجه لليمين.. توقف عند موظف ما يمتلك خليطًا مؤذيًا من اللامبالاة البشرية والتهكم وقال له: صباح الخير يا عم علي

- صباح الخير يا أستاذ كارم.. أنت هنا لرؤية الأستاذة رنا؟

- نعم

- تفضل

توجه كارم إلى مكتبه وجلس يفعل اللا شيء متنظرًا رنا.. لنقترب بالكاميرا من رأس كارم وندلف بهدوء لدهاليز عقله ولتعود عقارب الزمن للوراء أربع سنوات:

.. دلف كارم لشقتها

نحيفة.. شقراء.. ترتدي رداء نوم قصير.. جرت نحوه كالأرنب الخائف وارتمت في حضنه وهي تهتف: كارم حبيبي..

- مريم..

- كارم أين كنت.. يا إلهي لشدة ما أحبك لا تتركني هكذا..

وزادت من ضغط ساعديها على ظهره وهي تهتف: كارم.. كارم.. حبيبي.. وجودك يؤلمني.. لأني أعلم أنك سترحل.. وفي غيابك آلامي وعذابي لا حدود لهم.. لقد حاولت الانتحار في غيابك.. لكن هذا لا يهم.. أنت لا تريد سماع تفاهاتي..

وعادت برأسها للوراء وهتفت كالأطفال وهي تريه جسدها في فخر طفولي محاولة أن تثير اعجابه وأردفت: ربما أرضيك.. ربما أجعلك تشعر بالسعادة فلا ترحل تلك المرة..

لم يرد كارم.. هتفت مريم: كارم حبيبي.. لقد ارتكبت الكثير من الحماقات بعد أن تركتني.. لا تتركني..

ثم بكت وارتمت في حضنه مرة أخرى..

في الصباح فتح كارم عينيه.. مريم كانت نائمة جواره.. اعتدل ثم وقف وذهب كي يرتدي ملابسه.. غمغمت مريم بصوت ناعس لامبالٍ: ٧٠٠ جنيه تلك المرة.. اتركهم على المنضدة.. لقد أخذت وقتًا أفكر في الكلام وأعده بل وأعددت بروفة للمشهد قبل أن تأتي.. لا بد أن تعترف أني أجيد التمثيل.. ٧٠٠ جنيه لو ستترك أقل لا تأتي مرة أخرى.. لا أفهم أنت تأتي هنا لتجلس جواري ونشاهد التلفاز ونتحدث طيلة الليل دون أن تلمسني.. أنت تحب النساء ويبدو عليك ذلك لكنك لا تريد أن تلمسني لأنك لا تريد أن تستغل ظروفي كما تقول؟.. أنا لا أفهمك يا رجل

لم يرد كارم.. ترك لها المال ورحل..

في طريقه للخروج من البناية كان كارم يفكر.. الوحدة أمر سيئ

لنتراجع بالكاميرا خارجين من عقل كارم ونعود للوقت الحالي..

نتحرك بالكاميرا قليلًا ونرى بكر يجلس موازيًا لكارم..

أشعل بكر لفافة تبغ وفكر في هدير.. ابتسم لنفسه ونفث دخان سيجارته.. ربما لا يكون صلبًا وربما لا يكون حاد الذكاء لكن مع هدير هو رجل مختلف.. يتظاهر دوما أمامها بأنه شديد الصلابة حاد العقل قوي الشخصية.. وربما مع الوقت بإمكانه أن يكون هذا فعلًا من أجلها.. من أجلها هي فقط.. شخص يعرفه.. ويحبه.. يعطيه دافعًا كي يكون شيئًا حقيقيًا..

دلف أحد زملاء بكر لمكتبه..

- بكر.. وزارة الخارجية تريد ملحقين تجاريين الإعلان صدر بالأمس.. أتريد التقديم معي..؟

نفث بكر دخان السيجارة مرة أخرى ونظر إلى زميله.. عادة المصريون يقيدون على شمعتهم حتى تقيد ولا يخبرون زملاءهم بمثل تلك الفرص إلا لو كانوا فاقدي الأمل بالفعل ويريدون أحد معهم لتشجعيهم أن يفعلوا أو يقدموا أيًا كان هو الأمر.. ابتسم بكر في استهزاء ولم يرد..

نرى رنا جالسة أمام الحاسب الآلي ترتدي سماعات الأذنين في العمل وبينما صوت العميل يتحدث كانت هي شاردة في عالم آخر.. نقترب منها ونرى جزءًا من أفكارها:

- سأنتحر.. سوف أفعلها يا طارق

- آه مثل كل مرة

- سأنتحر.. أنت لا تحبني.. لقد أخذت مني كل شيء.. سأنتحر

- حسنًا

- أنت لا تهتم

- أنت لن تفعلي شيئًا.. كل ما تريدينه هو الاهتمام

- سأنتحر

أنهت رنا المكالمة.. نظر طارق لرجب الواقف وراءه وقال: فتاة أعرفها ستنتحر.. أتريد أن تأتي؟

هز رجب كتفيه في ملل..

خرج الاثنان من شقة ودلفا لسيارة طارق...

بعد ثلث ساعة كان طارق ورجب في الشقة التي يقابل طارق فيها رنا..

كانت تجلس شبه عارية على الأرض وهناك آلة حلاقة في يدها..

اعتدلت عندما رأت رجب مع طارق وهتفت: من هو؟

- مجرد صديق.. هنا ليشاهد

لم تعلق رنا ثم قالت: سأقطع رسغي

في عدم اهتمام قال طارق وهو يتجه للثلاجة: حسنًا.. ألديك بعض الطعام..

في تحد قالت رنا: أنت تعتقد أني لن أفعلها..

لم يرد طارق وفتح الثلاجة وتناول شطيرة..

تهدج صوت رنا وأحمر وجهها ثم قطعت رسغ يدها اليمنى بآلة الحلاقة انسابت الدماء الساخنة على جلدها الناعم بسلاسة وبدأ الجرح في الازدهار ببطء كابتسامة أب يرى مولوده لأول مرة..

ورفعت يدها النازفة في وجه طارق وقالت: أرأيت؟

لم يرد طارق واتجه ليجلس على أحد المقاعد ونظر إليها ثم قال: حسنًا..

رفعت رنا يدها الأخرى وقطعت رسغها..

قضم طارق من الشطيرة وقال: ألديك بعض العصير؟

لم ترد رنا.. كانت شاردة.. ثم قالت له: كم من الوقت متبقيًا لي؟

هز طارق كتفيه ثم قال: لا أعرف.. كم من الوقت متبقيًا لها يا رجب؟

في هدوء قال رجب: ساعتين ونصف.. ستشعرين بالبرد ورغبة في النوم.. أعتقد أن وزنك خفيف.. لن يأخذ الأمر أكثر من ساعتين ونصف..

- أنت وغد..

قالت رنا العبارة وهي تتراجع للوراء ثم نظرت لطارق وقالت: وأنت أيضا وغد..

انزاح الرداء الحريري الذي ترتديه ليكشف عن جسدها بينما تلوث نصفه السفلي بدمائها..

غمغمت رنا في إنهاك لرجب: لن يتركني أموت.. سينقذني.. أنا أعرف أنه يهتم..

ابتسم لها رجب في حين قضم طارق من شطيرته ولم ينظر للفتاة..

مر الوقت.. هتفت رنا دامعة: طارق أنا لا أريد أن أفعل هذا.. أفعل شيئًا أوقفني..

وقف طارق ورمى لها مفاتيح سيارته وقال: لو قدت بسرعة ستصلين إلى المستشفى في نصف ساعة.. بإمكانهم أن يفعلوا شيئًا..

وقفت رنا مترنحة وأخذت المفاتيح وكادت أن تسقط وهي تسير للباب..

في طريقها للرحيل سمعت طارق يقول لرجب: أتريد بعض العصير؟

- كلا

- إذن لنرحل من هنا هذا المكان كئيب..

لنخرج بالكاميرا تدريجيًا من رأس رنا ونعود للوقت الحالي.. ذهبت

بتفكيرها لكارم.. أيكون مثل طارق؟.. أم أنه شخص مختلف.. عليها ألا تفكر في طارق.. ألا تتمنى عودته.. تنهدت وذهبت لتعد الطعام..

في قلب الليل كانت رنا نائمة وكارم في الصالة.. الأخير كان مستيقظًا يحدق في الفراغ..

هدير كانت نائمة بين ذراعي بكر.. يشعر بهذا الفراغ في صدره.. فراغ لا يملؤه سوى وجودها.. يريد أن يحتضنها أكثر لتملأ هذا الفراغ.. لشدة ما يثلج وجودها قلبه وكيانه.. وهي بين ذراعيه الآن.. إذن أي شيء ممكن.. بإمكانه أن يحصل على وظيفة الخارجية تلك.. مزيد من المال.. مكانة اجتماعية.. حصانة.. بإمكانه أن يفعل لها المزيد والمزيد.. يعطيها أي شيء تريده.. شعر بحماسة مفاجأة.. أي شيء ممكن أن يحدث.. سيتقدم للوظيفة.. بعد أسبوع كانت هدير متربعة كالقطة على بكر الجالس وسط الكثير من الأوراق..

قبلته هدير وقالت: ربنا يوفقك يا حبيبي..

امتحان وظيفة الملحق كان اليوم التالي.. وخلال الشهر ذاكر بكر الكثير من المواد المطلوبة.. إلا مادة اللغة.. لم يسعفه الوقت.. هدير- خريجة الألسن - حاولت أن تساعده لكن الوقت لم يكف.. هي تتحدث الإيطالية بطلاقة بينما هو لا يجيد منها أي شيء..

ولكن بكر وهدير لم يستسلما بسهولة.. الفكرة كانت فكرة هدير.. وبكر قام بتطويرها..

سيوصل هاتفه المحمول بكاميرا تحويل صغيرة تبث صورة متحركة على ساعته الالكترونية.. وفي أذنه ستكون سماعة صغيرة بلا سلك.. سيريها الامتحان بساعته وتترجم له هي قطعة الإيطالي في أذنه..

كما أنه سيستطيع رؤيتها على ساعتها وهي وعدته أنها ستكون عارية وهي تساعده على الحل.. أشياء بسيطة كتلك هي التي تشعرك بالسعادة الحقيقية في الحياة..

الفصل الرابع

قبل عدة أشهر:

أخذ كارم المدية ونظر لجسد الفتى المتهالك أسفله.. نظر يمينًا ويسارًا.. لا يوجد أحد.. غرز المدية في معدة الفتى.. انغرزت ببطء.. وبصعوبة.. ولثوان لم يحدث شيء.. ثم انسابت الدماء بهدوء.. بخجل.. كعذراء تبتسم لحبيبها المخادع محاولة إرضائه..

غمغم حمادة: فينك يا أماه.. ثم أغمض عينيه.. وخلد للسبات العميق

ترك كارم جسد حمادة الفهلوي - سائق الميكروباص الذي تحرش بفتاة-غير النابض بالحياة على الأسفلت واتجه لدراجته البخارية

بعد نصف ساعة فتح حمادة عينيه..

كأن قطار الحياة قد داهمه فجأة فعاد إليها.. انتفض جسده وظل يسعل دمًا بلا توقف..

دوار.. ألم.. مهانة

- فينك يا أماه

يقف ثم يسقط أرضًا.. يشعر بالبلل بين ساقيه.. لقد تبول على نفسه من الخوف..

مهانة..

ألم..

دوار..

- فينك يا أماه

يترنح يمينًا ويسارًا.. يصرخ..

المخدرات.. الخمر.. الرؤية زائغة ومضطربة.. يرى والده ووالدته.. يرى

أخته.. يرى نفسه يضرب أخته وهي مراهقة فتذهب للمستشفى عدة مرات.. يرى والدته تدلل فيه وتعطيه المزيد من المال.. يرى والده منعزلًا في غرفته يقرأ القرآن..

يرى نفسه يضرب المخدرات.. يمرح مع أصدقائه.. يعمل على الميكروباص.. يتحرش بفتيات الجامعة.. يتشاجر مع الصبيان ويوسعهم ضربًا..

هو.. حمادة الفهلوي..

يمر أمامه شريط حياته ببطء.. وهو يترنح ويحاول أن يكمل مسيرته لمدافن السيدة..

يرى نفسه يتحرش بفتاة بقوة.. ربما هتك عذريتها.. يرى فتى نحيفًا يرافق الفتاة ينظر له في خوف فيبتسم حمادة في شماتة..

الفتى النحيف يحب الفتاة وقضى ليالي يفكر فيها.. يخطط ما الذي سيقوله لها وكيف ستكون هي معه..

يتحدث معها في الكلية ويخرجا سويًا..

ويأتي حمادة الفهلوي ليدمر حياتهم في نصف دقيقة ويرحل.. حمادة الفهلوي يمرح.. حمادة الفهلوي يترك بصمته في حياة الآخرين..

لكنه فقط يمرح.. لا يتذكر هذا الموقف الذي ستتذكره الفتاة والفتى.. ربما للأبد..

وصل حمادة للمدافن..

- فينك يا أماه..

أصدقاؤه كانوا يدخنون النرجيلة على طرف الطريق.. وقفوا عندما رأوه.. يقبض بيده على عنقه محاولًا وقف النزيف.. شاحب الوجه مع كثر الدماء التي فقدها.. هزيلًا.. معدته أصبحت بركة دماء صغيرة..

- حمادة الفهلوي بسبع أرواح

- المرجلة في الصحوبية

ساعدوه على الوقوف..

- إيه اللي حصل يا حمادة..؟

لم يرد حمادة الفهلوي

مرت ثلاثة أسابيع.. لقد تعافى حمادة الفهلوي من جراحه الجسدية.. ربما هي المخدرات.. أو ربما البلطجية لا يموتون بتلك السهولة.. طبيب بيطري فصلته النقابة لتجارته في أدوية غير مشروعه عالجه مقابل أطنان من الحشيش.. لم يكن علاجًا من الدرجة الأولى ولا الثانية ولا حتي الثالثة.. وربما.. بل غالبًا انتقل إليه عدد لا بأس به من أمراض الحيوانات لأن هذا الطبيب غير مؤمن بالتعقيم.. لكنه نجا.. فقط هناك ثقب في عنقه وآخر في معدته.. صوته أصبح أجش وغير مفهوم..

لكن جراحه النفسية لم تشف بعد..

المهانة..

تذكر حمادة العجوز ذو الجلباب في حافلة النقل العام الذي قام بالقبض على مؤخرة مراهقة.. أصيبت الفتاة بالذعر وصفعت الرجل ذا الجلباب في تلقائية..

فصفعها ذو الجلباب بكف يده وسقطت المراهقة أرضًا ولم يحرك ركاب الحافلة ساكنًا.. الصفعة كانت قوية وشعر حمادة معها أن رأس الفتاة سينفصل عن جسدها من قوة تأثيرها..

ونظر حمادة للعجوز ذي الجلباب ذلك اليوم في رهبة..

المهانة..

لم يقبلها العجوز ذو الجلباب..

ولن يقبلها حمادة..

مر أسبوع آخر..

في تلك الليلة كان حمادة يقود الميكروباص غير المرخص وعيناه زائغتان.. الرؤية ضبابية.. المخدر يفترش عقله كسحابة في سماء مظلمة فوق المحيط..

الساعة: الحادية عشرة مساء

المكان: المطرية

هناك فتى وفتاة في الميكروباص.. هناك عجوز.. وهناك فتاة وحيدة.. معها دفتر.. فتاة جامعية أنهت يومها في الجامعة وخرجت مع أصدقائها والآن في طريقها للعودة.. القلق بادٍ على وجهها لكنها تحاول أن تداريه.. هي غير معتادة على التعامل مع العالم الخارجي وحدها.. أصدقاؤها تركوها.. هي غير معتادة على أن تكون في قلب الليل لوحدها..

ترجل الفتى والفتاة..

بدا أن الفتى شاكر أن حمادة لم يعاكس فتاته.. التوتر كان باديًا عليه طيلة الطريق.. هو قلق أن يعاكسها حمادة ولا يفعل هو شيئًا فيقل قدره في نظر فتاته.. لكنه يعلم أنه لن يفعل شيئًا لو كان حمادة عاكسها..

ترجل العجوز في المحطة التالية..

الفتاة تنظر من النافذة محاولة أن تتظاهر أنها غير مبالية بشيء.. هذا هو سلاحها الوحيد.. التظاهر باللامبالاة..

اشتم حمادة رائحة خوفها..

الإهانة.. لن يقبلها..

زاد حمادة من سرعة الميكروباص وأدار المقود بقوة..

هي غير معتادة على التعامل مع العالم الخارجي..

الشلل أصابها.. لم تصرخ.. الخوف شل لسانها.. توتر.. عرق.. معدتها تنقبض.. شعرت أنها سوف تموت.. في ثانية وجدت نفسها في حارة ما..

وجدت حمادة فوقها.. تشعر أنها سوف تختنق.. تبكي.. مخدره القوي..

كيف؟.. كيف؟ شعرت بالظلم.. قوته البدنية وخبرته وهمجيته تمده بالقوي بينما خوفها يمدها بالضعف..

لم يستغرق الأمر سوى دقيقتين.. لطمها عدة مرات وانتهك عذريتها ثم دفعها من الباب لتسقط على الأسفلت وانطلق بالميكروباص مسرعًا بينما الناس تأتي من بعيد وتستوعب في بطء ما الذي يحدث.. حاول بعضهم اللحاق به.. لكنهم لم يحاولوا هذا حقًا.. فقط بعض السباب والعدو المنذر بعويد وراءه ثم توقفوا..

رحل حمادة.. بينما ظلت الفتاة على الأسفلت.. مخدرة.. تنظر للوجوه الجامدة شبه الفضولية التي تنظر إليها وتحاول أن تتظاهر بالحكمة وبأنهم قادرون على احتواء الموقف

تنظر للأيدي الملوحة وتسمع جملة لا حول ولا قوة إلا بالله.. وربما تسمع جملًا مثل ربما كانت تعرفه أو فتاة ليل..

يزداد شعورها بالخدر.. الصدمة.. ثم الألم..

بعد عدة أشهر كان حمادة جالسًا مع ربيع العربي.. ربيع نسخة أخرى من حمادة.. ليس في الشخصية فقط بل الشكل أيضًا.. كأنما هناك مصنع ما مختص بتصدير ربيع وحمادة بالجملة..

قال ربيع وهو يبصق: جبتلك عنوان كارم العدوي.. لقد تزوج.. راحوا مصر الجديدة.. عمارة ١٠٦ .. لنثبت الكاميرا تجاه حمادة

الإهانة.. لن يقبلها

الفصل الخامس

ثلاث ليالٍ قبل امتحان الخارجية:

الأربعاء

الثالثة صباحًا

شقة بكر وهدير

انساب شعر هدير على صدر بكر.. مسح بيده على رأسها وضمها إليه برفق.. ثم أغمض عينيه.. ونام بعد وهلة..

شقة كارم ورنا:

فتحت رنا عينيها.. قامت بهدوء.. وذهبت للصالة.. كارم كان نائمًا على الأريكة..

جلست أمام التلفاز.. لا تستطيع النوم.. هذا الأرق الذي أصابها مؤخرًا..

كانت ترتدي رداء نوم قصير ذي حمالات ولا شيء أسفله..

بدأت تقلب في التلفاز في ملل..

فيلم أبيض وأسود عن فاتن حمامة وهي تعاني بسبب الحب..

إعلان تليفزيوني عن مسحوق غسيل جديد.. وفي الخلفية هناك لوجو أحمر قبيح لا تعلم إن كان يخص القناة أم المنتج..

برنامج تليفزيوني ما..

أغلقت رنا التلفاز وذهبت للشرفة ثم تذكرت ما ترتديه فعادت لغرفة النوم..

الخميس

الواحدة ظهرًا

كارم في الشرفة يدخن.. رنا متربعة على الفراش كالقطة وأمامها الحاسب الآلي.. تشاهد فيلم فرنسي.. تنهي رنا الفيلم.. تتصفح الفيس بوك..

رسائل قديمة ظنت أنها مسحتها.. إعلانات جانبية على صفحة الفيس.. لوجو أحمر قبيح لإعلان عن خصم ما ومنحه كورسات لغة إنجليزية.. صور وأخبار عن ناس تموت وصور كوميدية ونكت..

أغلقت رنا الفيس بوك وذهبت للمطبخ

الجمعة

الثانية عشرة ظهرًا

بكر في صلاة الجمعة بعد أن أيقظته هدير بصعوبة من نومه..

كارم يمارس تمارينه الرياضية ويستعد كي يعدو بعد ذلك..

رنا تتمطأ في الفراش كالقطة..

رنا في المطبخ وفي يدها مسحوق الغسيل وتستعد لمسح الأرض.. تضع المسحوق جانبا وتبحث بعينيها عن الممسحة.. تجول عينيها في أدوات المطبخ.. القهوة.. الكوب الضخم.. الميكروويف واللوجو الأحمر الصغير الملصق عليه.. الممسحة..

السبت

الواحدة صباحًا

ما الذي سيحدث في البناية؟.. فكرت رنا.. أم أن شيئًا لن يحدث ولن تعرف أبدًا الرسالة في يد كريم السنباطي؟.. هي تعلم أن الحياة تكون غير عادلة أحيانًا.. ربما لن يحدث شيء على الإطلاق.. ربما لن تعرف أبدًا..

وضعت الروب فوق جسدها الناعم وخرجت للشرفة..

ارتطم بعنقها نسيم الهواء البارد فارتجفت وابتسمت في انتعاش..

ثم عقدت حاجبيها.. أحقا هذا الذي تراه؟..

تراجعت للوراء في خوف..

دلفت للشقة وذهبت وجلست جوار كارم النائم على الأريكة يحلم بحقل أخضر ضخم..

لتنقسم الشاشة إلى نصفين.. علي اليمين نرى رنا تجلس قبالة كارم.. وعلى اليسار نتحرك ببطء تجاه الهاتف المحمول المضيء جوار الأريكة

هزته برفق.. همست: كارم..

- رنا..

قال اسمها ببطء وفتح عينيه بصعوبة

- كارم هناك شيء غريب.. ستعتقد أني مجنونة.. كارم.. ممم.. لا تسخر مني حسنا.. لكن..

- ماذا؟

- ل.. لا شيء..

نواصل التحرك تجاه الهاتف المحمول ونسمع صوت رنا وهي تقول في تردد: سأقول لك غدًا بعد أن أفكر.. واصل نومك..

*****

الفصل السادس

يوم امتحان الخارجية

فتح بكر عينيه..

هدير كانت متكورة جواره كالقطة..

- هيا استيقظ.. استيقظ..

فتح عينيه ببطء ونظر إليها.. تنظر إليه في تحمس.. لتساعده في امتحانه اليوم.. ابتسم لنفسه وربت بظهر يده على وجهها.. أراد أن يأخذها بين ذراعيه ويحتضنها طيلة اليوم دون أن يفعل شيئًا آخر.. لكن هناك دوما الكثير من الهراء الذي يجب أن يفعله كي يستطيع أن يكون معها ويأخذها بين ذراعيه..

فتح المهندس أحمد عبد القادر عينيه.. اعتدل ببطء.. ذهب لدورة المياه.. تبول.. ثم وضع المسحوق الطبي على وجهه المحروق الذي لا يتحمل وجود سوائل عليه.. تذكر عندما كان يستيقظ ويغسل وجهه كل صباح.. كلما تغيرت الأشياء كلما أصبحت كما هي..

ريهام كانت تتناول إفطارها.. وفي يدها جريدة صباحية ما..

- حاضر يا ماما أنا جايه

قالت الجملة بلامبالاة وهي تلوك الطعام.. في الجريدة كانت تقرأ خبرًا عن انهيار أسهم البورصة للمرة الثالثة على التوالي..

رامي كان في شقته يستمع لبعض الأغاني ويجلس أمام حاسوبه.. يتذكر عمله كصحفي قبل انضمامه للشركة

.. ندى المدربة كانت في قاعه التدريب تشرح شيئًا ما وهي مبتسمة..

أحمد التيم ليدر كان يمارس عمله النازي في السيطرة على أفراد فريقه..

حمادة الفهلوي كان في طريقه للبناية ١٠٦..

رن جرس شقة رنا ففتحته الأخيرة لتجد هدير على الباب: هاي أنا هدير.. زميلتك في الشركة.. الانترنت لا يعمل عندي وأنا بحاجة إليه ضروري..

ابتسمت رنا لهدير وأشارت لها بالدخول.. كارم في الخارج على أي حال..

المكان: قاعة الامتحانات

الساعة: الثانية عشرة ظهرًا

بكر كان يرتدي قميصًا أسود وسروال جينز.. يتصبب عرقًا من جراء الجو الحار وحقيقة أنه تأخر على الامتحان وكاد أن يفوته ميعاد الدخول..

فور أن وصل وجد خليطًا من المدنيين من مختلف الطبقات.. وخليطًا من مشاعر اللامبالاة والحماسة والبؤس والتفاؤل الساذج والثقة المريبة بين المتقدمين للامتحان..

تذكر أوراقه التي استخرجها وطوابير الساعات والنماذج التي ملأها فقط كي يصل لتلك اللحظة.. تأدية الامتحان.. لم يكن متحمسًا.. لم يكن متفائلًا.. لم يكن متشائمًا.. لم يكن أي شيء.. كان فقط يفكر في رنا..

وها هو ذا الآن جالس في القاعة.. القلم في يده.. الورقة البيضاء أمامه.. عليه أن يغلق عينيه ويلقي ما بجوفه من معلومات حاول اختزانها طيلة الشهر..

مرت أول ساعة.. وثاني ساعة.. وجاء ميعاد امتحان اللغة الثانية..

نظر في ساعته.. وضغط على زر صغير..

لتتضاءل الشاشة وهي تحمل وجه بكر المتصبب عرقًا وعيناه اللتان تدوران ببطء في المكان لتتفقدا إن كان أحد لاحظ ما فعله أم لا..

ليصبح وجه بكر في النصف الأيمن من الشاشة.. وعلى اليسار يتلاشى السواد ونتجه بالكاميرا ببطء لإذن بكر التي تحمل السماعة البيضاء الصغيرة بداخلها..

علي شاشة ساعته ظهرت صورة مصغرة لهدير..

لم تكن عارية كما اتفقوا.. كانت ترتدي ملابس الخروج.. هي ليست في شقتهم.. ربما أخذت حيطتها حتى لا يتشتت أم لكي لا يراها أحد مار من

جواره صدفة.. غالبا الاحتمال الثاني

في السماعة أتاه صوتها الخافت

- أرني ورقة الامتحان

نرى رنا في شقتها مبتسمة وهي تنظر لهدير الجالسة تغشش زوجها وتغمغم لنفسها: يا للرومانسية..

نرى كارم بالخارج يعدو وهو يلهث ويتصبب عرقًا ويفكر..

لماذا التحذير؟.. كيف دلف السنباطي لسيارة رنا؟.. ما الذي يحدث؟

أدار بكر ساعده الأيسر لتقابل شاشة الساعة ورقة الامتحان.. ساد الصمت في أذنه بينما هدير تقرأ القطعة التي ستترجمها ثم أتاه صوتها..

- إن القارة الإفريقية من أهم القارات المكتظة بالموارد الطبيعية وعلى هذا فإن تلك القارة مطمع لقادة العالم ولعل هذا يفسر سبب الحروب الأهلية و..

لنتحرك بالكاميرا ونتجه لساعد بكر.. لنلمح ساعته.. لنرى هدير.. جالسة في الصالة مولية ظهرها لباب الشقة.. رنا في المطبخ

لنرى الباب ينفتح ببطء..

- ومن الأمثلة التاريخية لحوادث حقول الألغام في أفريقيا حادثة نويلا في ١٩١٦ عندما..

علي يمين الشاشة نرى بكر يكتب..

علي اليسار نرى ساعته.. نرى حمادة في الشقة وراء هدير.. يتجه إليها ببطء.. تلك هي شقة كارم العدوي.. الآن هو وقت الانتقام

- وقد نص المؤتمر النرويجي الاقتصادي أنه من المصلحة الدولية الاكتفاء الذاتي للقارة للانتفاع من ثرواتها الطبيعية

ساد الصمت.. توقف قلم بكر عن الكتابة وظل ينتظر صوت هدير لكي تواصل الترجمة.. لكنه لم يسمع شيئًا..

أدار ساعته لينظر للشاشة..

لتعود الشاشة لوضعها الطبيعي.. لتزووم ببطء بعيدًا عن وجه بكر الذي صرخ:هدييييير..

توقف الممتحنون عن الكتابة ونظروا إليه.. اتجه

إليه المراقبون.. قفز بكر من مكانه وهرع

إلى الخارج..

على ساعة شاشته كان حمادة جاثمًا فوق هدير التي تحاول أن تهرب بعيدًا عنه.. يد فوق عنقها والأخرى فوق صدرها.. ولم ير بكر باب الغرفة ينفتح ببطء خلفه ويخرج من ورائه ظل رجل طويل متجه إلى حمادة وهدير..

بكر يعدو بقوة.. ساعة ونصف حتى يصل للبيت.. لا وقت.. يخرج هاتفه.. يتصل بالشرطة.. تبا كم رقمهم.. يتصل بحارس العقار.. عقله ينبح كالمحموم.. رقم أحد من الجيران؟ ليس معه.. حارس العقار لا يرد.. الشرطة.. يتحدث معهم وهو يواصل العدو.. يعطيهم العنوان.. يصرخ.. الناس تنظر له كأنه مجنون وتتحاشاه..

بدا له العالم ضئيلًا للغاية في تلك اللحظة.. وكل هؤلاء البشر مجموعة من الآفات الضالة.. هدير.. لو حدث لها شيء فلا فائدة لكل هذا الديكور الخلفي من حوله الذي يطلقون عليه اسم العالم..

في الشقة هدير كانت تشعر أنها تختنق.. تلهث كي تلتقط أنفاسها.. وجهها يؤلمها من أثر صفعات حمادة المنفعلة..

وجه حمادة فوقها.. تعبير الشهوة على وجهه جعله شديد القبح.. كانت تشعر بمزيج من الفزع والحزن.. الفزع يأتيها ويرحل لكن الحزن معزوفة لا

تتوقف.. كأنها كانت تتوقع أن يحدث شيء كهذا.. إن الأمور لن تسير على ما يرام للأبد..

ثم رأت ظل أحدهم وراء حمادة الجاثم فوقها.. من هذا؟..

تصلب جسد حمادة.. تحشرج صوته.. انسابت الدماء بنعومة من فمه لتسقط على وجهها..

لماذا لم تصرخ؟ أين صوتها؟.. نظرت إلى منقذها وهي في حالة صدمة..

في يده مدية حادة.. ينحني.. يملس بيده على وجهها.. ثم يغرس المدية في معدتها.. تتأوه هدير في ألم..

كابوس.. تتحرك فيه ببطء

.. ترى الحقل.. ترى الفستان الأبيض.. ترى طفلة تضحك.. هي لم تنجب بعد؟

تستدير هدير محاولة الهروب ثم تشعر بألم حاد في ظهرها حيث استقرت المدية حادة.. ثم خرجت المدية من جسدها للمرة الثانية..

ينتفض جسد حمادة أرضًا ويحاول أن يغمغم: م.. من.. ا.. ا ن ت.. من أنت؟

لكن اليد تمتد وتجذب لسانه للخارج وتقطعه بالمدية.. تتسع عينا حمادة في فزع وتتناثر الدماء في كل صوب فوق وجهه.. يحاول أن يتكلم فتصدر أصوات مضحكة منه وتتناثر الدماء فوق فكه أكثر..

يرى المدية تذهب في جيب السروال.. ويرى مسدسًا معدنيًا متوسط الحجم من طراز غلوك ٧ مزود بكاتم للصوت ينظر إلى وجهه في لامبالاة

ثم يضيء.. وبعدها يسود الظلام..

يستدير الغلوك ٧ وينظر لهدير.. يضيء مرة أخرى وتتناثر دماؤها برفق جوار جسدها.. ثم يعود المسدس للغمد الذي خرج منه..

يستدير الضيف في هدوء ويتجه للمطبخ تاركًا هدير وحمادة على الأرض..

أمامه في المطبخ كانت رنا تقف وقد شلها الرعب... تنظر إليه في فزع.. أين كارم؟.. لن ينقذها أحد.. يصوب الضيف المسدس تجاهها.. تسري القشعريرة في جسد رنا وكأنها تشعر بالمعدن الصلب على جسدها.. شعرت أنها عارية.. ضعيفة.. لن تبكي.. لن تبكي..

غمغمت رنا: أنت لست حقيقيًا

انطلقت الرصاصة وسقطت رنا أرضًا..

ننظر من النافذة للبنايات الأخرى المتظاهرة بالبراءة ونرى البومة تطير بعيدًا في هدوء مشيحة بوجهها كأنها لم تر شيئًا..

تمر سحابة بدينة في السماء لتحتك بها الشمس وينعكس شعاع الضوء على ظهر رنا حيث استقرت الرصاصة..

بكر يعدو في الشارع بقوة وجنون.. ولا يرى الرجل ذا المعطف يعدو خلفه.. لا يرى الشاحنة القادمة بسرعة.. ولا يرى يد الرجل وهي تمتد وتدفعه تجاه الشاحنة.. يندفع جسد بكر.. وتحتضنه الشاحنة تحت عجلاتها قبل أن تبصقه وهو قطعة من العجين.. لم يعد بكر كما كان.. عظام ظهره برزت للخارج بعد أن تقوس جسده وتحول وجهه لقطعة من العجين إثر مداعبة إطارات الشاحنة القاسية له.. لن يعرف بدا ما الذي حدث لهدير؟

نتراجع بالكاميرا للخلف ونحن نرمق جثة بكر.. أحدهم فقط حلم

- زوجتك في غيبوبة.. علينا أن نأمل للأفضل.. سوف تستعيد وعيها في مدة من شهر لستة شهر أنا أؤكد لك هذا..

يملأ وجه الطبيب الأصلع الشاشة وهو يقول هذا لكارم ثم يردف وهو يرفع يده وينظر اتجاهنا ليربت على ما يراه أنه كتف العدوي: لكنها سوف

تكون مشلولة.. الضرر في عمودها الفقري لا يمكن إصلاحه..

ينتهي المشهد وتظلم الشاشة ببطء ثم تضيء مرة أخرى.. تلك المرة وجه الضابط وهو يدفع كارم للوراء بعنف في الزنزانة ويصيح: تربدني أن أصدقك؟.. أنت أفاق ولص.. عايز تعملي فيها ابن ناس.. أنت كنت بتشغل مراتك بكام يالا وادتها لمين عمل فيها كده؟.. عداوتك كانت مع مين قول؟..

وتهوي لكمة أحد أمناء الشرطة على وجه كارم.. الذي لم يبد أي انفعال.. كان يقف بلا مشاعر ينظر لهم شبه مبتسم.. هو ليس في الزنزانة الآن ولا يتعرض للاستجواب والضرب.. لقد ذهب بمخيلته لمكان آخر.. كان مستلقيًا على شاطئ مع فاتنة ترتدي رداء البحر تسند رأسها وتبتسم..

تظلم الشاشة مرة أخرى معلنة انتهاء المشهد..

تضيء الشاشة لنرى كارم راقدًا على أرضية شقته ينظر للسقف..

التقويم يقول لنا إنه مر شهر ونصف على يوم امتحان الخارجية..

لنقترب من كارم وندلف إلى عقله..

رنا لا تزال في الغيبوبة.. هو لا يزال في الشقة.... رنا لا تزال حية... لكنه فشل في حمايتها.... فقط عليه أن ينتظر.. يحاول أن يتخيل إن كان عقلها يعمل أم لا.. أهي تحلم أو تفكر في شيء ما في تلك اللحظة أم أن الغيبوبة تجعلها خاوية الأفكار.. لا يعلم.. وهذا يصيبه بالجنون..

ترى كيف سيكون رد فعلها عندما تعلم أنها أصيبت بالشلل؟.. تلك الفتاة المقاتلة المليئة بالحياة التي هربت من أهلها وهي صغيرة ونجت من سفاح على الطريق.. لقد أخبره هشام بقصة طفولتها وهم واقفون سويًا ينظرون إليها وهي في الغيبوبة.. من الذي فعل بها هذا ولماذا؟

يعتدل في جلسته.. طاقة الغضب التي تسري في جسده منذ شهر ونصف أصابته بالجنون.. لا يستطيع فعل شيء.. يريد أن يصرخ حتى

تنقطع حنجرته.. سيجد من فعل برنا هذا..

يعود مرة أخرى بظهره للأرض ويعود بعقله لليلة امتحان الخارجية..

سأقول لك غدًا بعد أن أفكر.. واصل نومك..

- كنت حتقوليلي إيه يا رنا.. كنت حتقولي إيه؟..

ثم تبتعد ببطء ويعود الصمت للمكان..

يقف كارم ويخرج للشرفة.. ينظر للفراغ..

أمامه بنايات أخرى.. شارع.. ولوحة إعلانية ضخمة للمرشح الرئاسي وعلى جانب اللوحة يوجد لوجو أحمر قبيح.. عدة أشجار دار عليهم الدهر هنا وهناك.. السماء المظلمة والقمر شبه المكتمل..

يرن جرس الشقة..

يذهب كارم في بطء ليفتحه..

القادم كان المهندس أحمد عبد القادر..

*****

الفصل السابع

تدور الكاميرا في الصالة حيث يجلس كارم قبالة المهندس ذي الوجه المحترق في صمت..

الأخير كان يرتدي سروالًا قماشيًا أسود واسع وجاكت رمادي غامق أسفله شيء غامض لا تتبين

كنهه..

الضمادات تخفي وجهه.. يداه المحروقتان تستندان.. برفق على ركبتيه وهو جالس منتصب الظهر..

كارم ينظر إليه في صمت.. حارس العقار حكى لهم عندما أتوا للبناية عن المهندس المحروق الذي يعيش وحيدًا..

- ليتولاه الله

هكذا قال للحارس العقار في اهتمام.. عادة

البشر يبدون شفقة مصطنعة عندما يتظاهرون بالآدمية وبأنهم يبالون.. لكن كارم انتابه الاهتمام وهو يتخيل حياة رجل بوجه محروق يعيش وحيدًا.. ورنا كذلك..

.. هو ورنا.. عندما أتوا للبناية.. رنا..

اعتصر الألم جسد كارم..

المهندس يجلس في صمت وينظر إليه.. ثم تحدث

لننظر إلى ظل الرجلين على الحائط في الغرفة شبه المظلمة بينما نحن نسمع حديثهم الحوار كالآتي

المهندس كان صوته مبحوحًا.. يتحدث بصعوبة وألم ويتنحنح كثيرًا.. حنجرته المحروقة تعاني كي تؤدي دورها..

أحمد: أنا آسف بشأن زوجتك

كارم:.....

أحمد: أنا جارك في الطابق العلوي..

كارم:.....

أحمد: أعلم أن هذا وقت صعب عليك.. أنا لست رجلًا اجتماعيًا.. أنا جئت هنا كي أساعدك..

كارم:.....

أحمد: الشرطة لم تتوصل لشيء؟

كارم: الشرطة لن تفعل شيئًا

أحمد: كيف حال زوجتك؟

كارم: لا تزال في غيبوبة

أحمد: الألم شيء سيئ..

كارم: كيف ستساعدني؟

يمد أحمد يده في جيبه ويخرج شيئًا ما

أحمد: بعد الحريق لم تتحملني عائلتي وأصبحت أعيش لوحدي.. تلك الحبوب.. جعلتني أترك الواقع.. اذهب إلى الأثير.. حيث لا يوجد ألم.. فقط صفاء ذهني.. متعة.. المتعة هي الشيء الوحيد القادر على تحطيم الألم.. هذه الحبوب سوف تساعدك.. أنا لست رجلًا غريب الأطوار.. أنا فقط رجل يعرف معنى الألم.. وأريد حقًا مساعدتك

يضع أحمد الحبوب على المنضدة ويرحل

يظل كارم جالسًا

أدار رامي مقود سيارته وهو عائد للبناية ١٠٦ وتجاهل سباب سائق الميكروباص الذي كاد أن يصطدم به..

يوم طويل ومرهق.. جسده في حالة إعياء.. يتخيل نفسه في المنزل خارج تلك الحلة التي يرتديها.. مستلقيًا على فراشه بعد دش ساخن.. ينتعش.. كل يوم.. في نهايته.. يأتيه هذا التخيل.. ثم ينتهي يومه ويبدأ بعدها يوم آخر..

أوقف رامي سيارته أمام كشك وترجل منها ليبتاع بعض التبغ..

لمح هذا العجوز الذي يبدو كمتسول يجلس على الرصيف وينظر إليه..

كان رامي يتحرك تجاه الكشك عندما استوقفه العجوز..

كان طليق اللحية.. يرتدي معطف ممزق.. لم تكن رائحه كريهه.. يبدو كمتسول لكنه ليس واحدا.. يبدو كرجل خائف.. يتلفت حوله وله عينان مذعورتان.. رجل يهرب من شيء ما..

قال العجوز ذو الظهر المنحني بصوت مبحوح وهو يشير بإصبعه مهدئا: أنهم يراقبونك.. إنهم هنا.. يرون كل شيء تفعله.. لو لم تمش على هواهم سيضعونك في المكان الذي لا تشرق فيه الشمس.. إلا يخيفك هذا.. هاتفك.. حاسوبك.. كل تلك التكنولوجيا.. هم دوما موجودون.. يراقبون..

ابتسم رامي وربت على ظهر العجوز وأعطاه بعض النقدية وقال: اذهب وكل شيئًا يا حج..

نظر له العجوز في غضب لكن رامي لم ينتظر.. دلف إلى عتبة الكشك ولم ينظر وراءه..

لقد أربكه العجوز قليلًا.. المتسولون يتسولون.. تلك طبيعة الحال.. المجانين يقولون دوما كلامًا يداعب الخيال.. وشعر رامي أن تصرفه مع العجوز كان مبتذلًا قليلا.. يعطيه بعض النقدية ويخبره أن يأكل شيئًا.. كأن رد فعله التلقائي منقول من فيلم سيئ رآه.. لكنه لم يدر ما يفعل.. أيجلس ويتحدث مع الرجل.. يتناقش معه في الهذي الذي يقوله.. لا داع.. لا داع..

مط رامي شفتيه.. بشكل أو بآخر هذي العجوز كان منطقيًا.. هم دومًا يراقبون.. من هم؟ لا يعلم.. كان يبغض دومًا الإعلاميين ونجوم المتجمع.. يراهم كدمى زائفة في مسرحية هزلية.. دمى يعلقون صورها على الكباري في الإعلانات التجارية الرخيصة.. أهؤلاء الذين يقصدهم العجوز؟.. لا يهم..

في شقته ارتمى رامي على فراشه وهو مبلول الجسد.. غدًا يوم مرهق آخر وفي نهايته كل ما سيريده هو الخروج من حلته وأخذ دش آخر..

ريهام كانت تقف مترددة أمام شقة كارم ورنا.. لقد حاولت أن تتحدث مع كارم من قبل عن حادثة زوجته لكنه كان غير موجود.. حاولت أن تزور

زوجته في المستشفى لكنها في غيبوبة.. في النهاية كتبت تقريرًا صغيرًا عن جارتها التي تعرضت لحادث اغتصاب.. لقد فقدت موظفتين من الشركة في الآن ذاته..

وها هي ذي تقف أمام شقة رنا وكارم في تردد..

زفرت بقوة ثم استدارت راحلة..

ربيع العربي كان يدخن النرجيلة في تلك العشة القماشية.. أذان الفجر يتعالى من اللا مكان.. وصوت كلب ما ينبح..

المكان: خندق علوية في السيدة زينب

الزمان: الغسق

ربيع لم يسمع من حمادة منذ أن أعطاه عنوان كارم.. لو كان في وعيه لربما انتابه القليل من الفضول عن سبب اختفاء صديقه.. لكن ربيع لم يكن في وعيه.. ولم ينتابه الفضول..

ثم انتفض جسده وصاح فجأة: يا ساتر..

وراءه كان يقف ثلاثة رجال...

أحدهم قصير حاد الملامح.. الآخر متوسط الطول من النوع صامت الوجه.. حتى لو تحدث لا تدري أهو يعني ما يقوله أم لا..

الثالث كان يتوسطهم.. بإمكانك ببساطة أن ترى أنه القائد.. كان يرتدي سروال جينز وقميصًا أبيض.. فارع القامة متين البنيان له وجه صعيدي.. خشن البشرة.. مجعد الشعر وفي عينيه نظرة تنذر بالويل..

نظر ربيع إليه وقال مشدوها: حسين.. أنت رجعت من السفر..

لم يكن أحد يعلم أين كان حسين.. السجن.. أم في أحضان فتاة ما.. أم أنه ترك السيدة زينب.. لكن القاعدة هي أن كل من يرحل أو يختفي يكون " مسافر "..

ببطء قال حسين: حمادة.. مات.. لقيوه مدبوح زي الخرفان.. في مصر الجديدة

صوته كان حادًا.. متهدجًا.. حزينًا وغاضبًا..

حاول ربيع أن يقف وأن يتظاهر بالغضب لما يسمعه لكنه ترنح وكاد أن يسقط.. قبض عليه حسين من ياقته وصرخ: أخويا الصغير اللي أنا موصيك عليه.. مين اللي عمل فيه كده

تذكر ربيع أيام حسين قبل أن يسافر وما كان يفعله فصاح وهو يكاد يبكي: والله ما أعرف

لطمه حسين بكف يده ثم جثم عليه بعد أن سقط أرضًا وصاح ووجهه يملأ مدى رؤية ربيع: حق أخويا ابن أمي حجيبه.. مين اللي عمل فيه كده يا ربيع..

- كارم العدوي.. هو كان رايح ياخد حقه من كارم قبل ما يموت..

- كارم مين؟... كارم الأفاق؟

- أيوه

- وأنت سبته يروح لوحده؟..

- أه.. أه..

ظل ربيع يكرر الكلمة بعته ولسانه عاجز عن قول أي شيء.. مد حسين يده في جيبه وأخرج زجاجة صغيرة.. وقال بغضب: حق أخويا حيتجاب

ثم سكب الزجاجة على وجه ربيع.. انساب الحامض ببطء على جلد وجه الأخير.. فتح فمه ليصرخ فانساب الحامض للداخل وتآكل لسانه.. ظل جسده ينتفض وتبول على نفسه.. كل هذا الألم.. في لحظات كتلك يتوقف الزمن عن الدوران.. الحقيقة أنه في لحظات كتلك يغدر بك الزمن بقوة.. يصبح الألم هو سيد الكون ويتوقف كل شيء تقديرًا له..

لنتراجع بالكاميرا لأعلى ونرمق المشهد من منظور الطائر المحلق قبل أن تظلم الشاشة معلنة نهاية المشهد

كارم جالس يفكر..

من الذي فعل هذا؟

حمادة جاء ليعتدي على رنا.. لينتقم من كارم.. ثم تدخل أحدهم ليقتل حمادة ويحاول قتل رنا وقتل هدير.. ووجدوا بكر زوج هدير جثة في الطريق.. ما الذي يحدث.. من.. ولماذا؟..

هو لا يفهم شيئًا.. عقله توقف عن العمل.. لا يوجد منطق..

إننا دوما نشعر بالجنون داخل عقلنا ونستشعره بين السطور في الواقع المحيط بنا.. أحيانًا يخرج لنا في موقف وآخر ليملأ الصفحة.. لكن هذا الجنون؟.. تلك اللا منطقية؟.. عقله يتألم من محاولة الفهم.. من.. ولماذا..

هز كارم رأسه بعنف..

نظر للحبوب على المنضدة التي أعطاه إياها المهندس عبد القادر.. وابتلعها..

في البداية لم يحدث شيء.. أم حدث؟.. يقولون دوما أن في البداية لا يحدث شيء.. أم يحدث؟..

كان يسير في الظلام.. عاري الجسد.. يتصبب عرقًا.. وكل حين وآخر يتوقف وينحني ليلقي ما في جوفه للفراغ.. كان يسير والدوار يجعله يتأرجح لأقصى اليمين ثم ينقلب فيرى الظلام من الأسفل للأعلى قبل أن يتأرجح لليسار..

وكلما تأرجح لليسار أصابته نشوة في نصفه السفلي.. فيبتسم في بلاهة..

ثم يعود لليمين فترحل النشوة قبل أن ينقلب مرة أخرى..

كلما أفرغ ما في جوفه كلما شعر أنه خفيف.. سيطير.. سيصل إلى درجة من الخفة تجعله يطير.. فقط عليه أن يفرغ ما في جوفه أكثر..

لكنه لا يزال يشعر بالألم.. والظلام يخنق عليه أكثر.. يريد أن يبكي.. لا فائدة..

الملعون يسير بالمقلوب عاري الجسد بين طيات الظلام إلى أبد الآبدين.. شعر بالإرهاق فجلس.. شعر بالألم يجتاح مؤخرته.. أرضية الظلام كانت أشواكًا حادة قبيحة الشكل..

فتح كارم عينيه.. كان على أرض شقته عاري الجسد يتصبب عرقًا....

رنا.. لقد انتهى كل شيء.. تلك المرحلة من الظلام.. لا عودة منها..

في اليوم التالي صعد كارم لشقة المهندس وطرق الباب..

مرت فترة من الصمت..

الرجل الكئيب بالداخل لكنه غير مهتم بمعرفة من الطارق.. هذا رجل لا يزوره أحد.. ربما في البداية كان يريد أن يزوره أحد.. ربما كان بحاجة لهذا.. ولكن الأشياء التي نريدها بقوة ولا تأتي تصبح أفكار سخيفة لا نبذل جهدًا لفعلها بعد ذلك..

والمهندس لم يبدُ أنه يريد أن يبذل جهدًا لمعرفة من الطارق..

رن كارم الجرس الصامت ثم طرق الباب.. مرة ومرة أخرى..

سمع حركة بطيئة.. المهندس ينظر من العين السحرية.. ثم يعود ببطء لغرفة نومه ويلف الضمادات حول وجهه المحروق ويعود ليفتح الباب..

أومأ برأسه لكارم وأشار له بيده أن يدخل.. دلف كارم للشقة..

الفصل الثامن

ترتكز الكاميرا في شقة المهندس أحمد على كارم والأخير يتحدثون بينما في الخلفية نرى دورة المياه..

كارم: تلك الحبوب مغشوشة.. مثل كل الباقي.. الكثير من الدوار والكثير من الهراء..

يصمت كارم قليلًا قبل أن يضيف: لكن لجزء من الثانية.. فقط لجزء.. جعلتني أشعر بشيء ما.. ولهذا أنا شاكر..

المهندس: أنت أول أحد يزورني منذ سنين.. قل لي.. ما رأيك في شقتي؟

كارم: الكثير من الظلام.. ولا أعني انعدام الإضاءة.. الأثاث مظلم.. كل شيء مظلم.. وهناك تلك الرائحة الغريبة..

لم ير كارم تعبير وجه أحمد لكنه شعر بقليل من الفخر ينبعث من الرجل بينما هو يصف شقته..

قال أحمد:شقتي كئيبة.. انظر إلى منضدة الطعام.. تذكرني بمائدة الطعام في قصة توقعات عظيمة لتشارلز ديكنز.. العروس العجوز الجالسة على منضدة طعام حفل زواجها لعشرين عامًا منتظرة عريسها الذي لن يأتي.. أقرأت تلك الرواية؟

قال كارم: نعم قرأتها

رأى عيني أحمد تقيمه قبل أن يقول المهندس: أنت تحب زوجتك.. هذا شيء غريب.. الكثير من الرجال تموت زوجاتهم أو يتعرضون لحوادث فيتركوهم ويتزوجوا أخرى.. لا تراهم يتعرضون لهذا الألم.. أنت رجل غريب..

لم يرد كارم.. ماذا لو عرفت أنها ليست زوجتي وأني كنت هنا لحمايتها؟.. أردف أحمد: أنت تبدو كرجل يائس.. بلا طاقة ولا حياة.. ليس

بسبب ما حدث.. بل سبب ما سيحدث..

- وما الذي سيحدث؟

- لا أحد يعلم.. وتلك هي المشكلة.. أنت لا تعلم إن كانت زوجتك ستفيق أم لا.. وإن أفاقت.. هل ستكون كما كانت أم لا.. وتعلم أنك لن تعلم أبدًا من الذي فعل بكم هذا.. هذا ما الذي سيحدث.. هذا سبب يأسك..

- الم ترى شيئًا؟.. اي شيء؟.. ألم تسمع شيئًا؟ ذلك اليوم..؟

هز المهندس رأسه ثم غمغم: أتمنى أن أساعدك.. لكني لا أعلم شيئًا.. وأنت؟.. ألم تتوصل إلى أي شيء؟

هز كارم رأسه.. ثم قام ورحل في صمت..

في طريقه للعودة للبناية بعد انتهاء يومه أوقف رامي سيارته أمام كشك السجائر.. الإرهاق.. ساقيه تئن في ألم.. بإمكانه أن يشتم رائحة قدميه في حذائه.. سيصل للبيت وينتعش وينام في ارتياح.. فقط عليه أن يقاوم الإرهاق ويبتاع بعض التبغ..

رأى مجموعة من الناس تتجمهر حول شيء ما.. اتجه إليهم ببطء..

مجموعة من الناس يقفون في دائرة حول شيء ما.. أحدهم يضع يدًا على أخرى ويقول: لا حول ولا قوة إلا بالله..

أزاحهم رامي في بطء.. ووقف أمام جثة المتسول العجوز.. هناك ثقب رصاصة في جانب رأسه.. أجزاء من مخه متبعثرة جواره على الأسفلت.. وإصبعين من يديه مفقودين..

نظر رامي لجثة المتسول في جمود.. بالأمس كان هذا الرجل يتمتم بالهراء عن هم الذين يراقبون كل شيء.. والآن هو جثة ينظر إليها الفضوليون..

يده الأخرى المتخشبة كانت ممدودة أمامه بعنف وسبابته تشير في

يأس إلى شيء ما..

نظر رامي إلى الاتجاه الذي يشير إليه العجوز.. هناك كوبري.. لوحة إعلانية ضخمة لمسلسل تليفزيوني عليها لوجو أحمر غريب الشكل.. هناك بناية قديمة وسيارات تعبير يمينًا ويسارًا.. لا شيء آخر..

عاد رامي بعينيه إلى المتسول..

بالأمس كان يهلوس عن هؤلاء الذين يرون كل شيء.. تنهد رامي بتعاطف.. وأين كان هؤلاء الذين يرون كل شيء عندما قتل أحدهم العجوز.. ثم رفع رامي حاجبه.. أم أن العجوز قد مات بسبب ما قاله.. هز رامي رأسه.. تبدو الفكرة رومانسية للغاية لحبكة رواية ما.. لكن هذا هو الواقع.. أحدهم قتل العجوز.. وهذا هو كل شيء..

عاد رامي سيارته وأدار المقود ولم ينس أن يبتاع

التبغ..

لنعود بالكاميرا للعجوز.. لنقترب منه ببطء.. لنتحرك على خط يده.. وننظر مرة أخرى إلى ما تشير إليه سبابته.. لنشهق في هلع قبل أن تظلم الشاشة

*****

الفصل التاسع

فتحت رنا عينيها ببطء.. تسللت إلى أنفها تلك الرائحة المعقبة بالبؤس التي تملأ هواء المستشفى.. أمامها كان يجلس كارم..

نظر لها في صمت وتوتر.. ثم نظر إلى الأرض.. أراد أن يقول أي شيء.. كان على وشك أن يقول جملة سخيفة بلا معني مثل الأطباء اتصلوا بي وقالوا لي إنك تستعيدين وعيك من الغيبوبة ثم آثر الصمت..

كان يشعر بالإحراج والعجز.. هو لم يستطع حمايتها.. ظل ينظر إلى

الأرض.. ظلت رنا صامتة.. للنظر لهم من أعلى ونسمع طنين الصمت.

المكان: البناية ١٠٦

اليوم التالي..

انتهت مرحلة الأوراق الرسمية والاختام واستجوابات أمين الشرطة الذي أرسله الضابط لإنهاء الشكليات لأن وقته لا يسمح بالذهاب للمستشفى..

عادت رنا لشقتها..

كان كارم يحملها بين ذراعيه.. وبعد نصف ساعة جاء الممرض ومعه الكرسي النقال الخاص برنا..

رحل الممرض.. ودفع كارم عجلات الكرسي الجالسة عليه رنا برفق.. ساعدها على غسل وجهها وأعد لها طعام العشاء.. ثم ساعدها على الاستحمام.. التعبير على وجهها لم يتغير.. البؤس منعه من الشعور بأي شيء وهو يساعدها على غسل جسدها العاري.. حملها بين ذراعيه مرة أخرى.. كانت صامتة.. وقف في حيره.. لا يريد أن يأخذ القرار ويذهب بها إلى الفراش كي تنام.. ربما تريد الجلوس في الصالة..

تنحنح ثم سألها: أين تريدي الذهاب؟

- الفراش..

ذهب بها إلى غرفة النوم.. جلس جوارها ونظر إلى الأرض..

- أنا اسف يا رنا

لم ترد..

تنهد ثم قال: من الذي فعل هذا..

ظلت صامتة لوهلة ثم قالت: كان طويلًا.. فاتح البشرة.. أنفه معقوف..

ذقن حادة..

كانت تتكلم ببطء كأنها في حلم.. أردفت: وجنتي مستديرتين.. شعر ناعم مصفف للوراء..

لتنقسم الشاشة إلى نصفين.. إلى اليسار نرى كارم ورنا في غرفة نومهم.. على اليمين نرى رجل يقود سيارته في الظلام.. تتضح ملامحه تدريجيًا كلما تقدمت السيارة للأمام وعبرت اضواء المدينة..

- فك بارز.. وسيم ويرتدي ثياب مهندمة.. لو رأيته في الشارع لاعتقدت أنه محاسب أو مهندس في شركة أجنبية ما..

يوقف الرجل محرك سيارته ويترجل منها..

نرى أنفه المعقوف.. وجنتاه المستديرتان.. فكه البارز.. شعره المصفف للوراء.. حلته السوداء..

حاول كارم أن يرفع يده ويربت على رأس رنا.. تبا لشدة ما يشعر بالعجز..

دلف الرجل إلى مبني زجاجي ضخم..

الساعة: الثانية عشرة صباحًا

بإمكانك أن ترى أن المبنى زجاجي يخص شركة ما.. خلت من موظفيها في هذا التوقيت.. اخرج الرجل هويته الإليكترونية ومررها على أحد الأبواب فانفتح في لامبالاة.. دلف الرجل لممر معدني طويل.. سار فيه ببطء ودلف إلى المصعد في منتصف الممر..

قالت رنا وهي شاردة: أنا لن أستطيع أن أسير مرة أخرى..

حاول كارم أن يقول أي شيء مسرعًا.. إن هذا لا يهم.. أن شيء لم يتغير.. إنه سيحاول أن يخفف عنها ويجعلها سعيدة.. لكنه صمت.. لشدة ما يشعر بالسخافة والعجز..

توقف المصعد في الطابق الرابع.. خرج الرجل من المصعد ودلف إلى أحد المكاتب..

المكتب كان متوسط الحجم.. به حاسب آلي متنقل ولوحة ضخمة لرجل أشيب وعائلته.. لا شيء آخر.. لكن الديكور كان فاخرًا لدرجة تصيبك بالتوتر..

الرجل الأشيب كان يجلس وينظر في الحاسب..

ممتلئ قليلًا.. قصير نوعًا.. له كاريزما ناتجة عن شخصيته التي تبدو كشخصية أجنبية على الرغم من كونه مصريًا وصوته الغريب.. في عينيه تعبير قوي من اللامبالاة يجعلك تدرك أن هذا رجل قادر.. رجل ناجح في حياته وقادر على فعل أي شيء لكنه لا يبالي.. لا يمكنك أن تعلم ماذا يحب حقا أو ما الذي يجعله يشعر بالحماسة..

قال الأشيب: الفتاة استعادت وعيها.. التقرير يقول إنها خرجت من المستشفى وعادت للمستشفى.. مهمتك كانت شديدة البساطة ولم يكن هناك داع لذهابها للمستشفى..

ثم أردف: لكن هذا الكلام لن يفيد.. لنكن عمليين كلنا بشر ونرتكب أخطاء.. أنت عنصر فعال وانا لا الومك.. فقط اثق انك ستكمل مهمتك.

أومأ الرجل برأسه وقال في هدوء: لقد تابعت تطوراتهم في فترة غيبوبتها.. زوجها لا يعلم شيء.. لا خطر منه..

مط الأشيب شفتيه ثم قال ببطء كأنه يختبر الرجل الماثل أمامه: موتها الآن بعد محاوله ثانية.. ألا تعتقد أن هذا سيجذب الأنظار..

فكر الرجل قليلًا ثم قال: سيجذب أنظار من؟..

ابتسم الأشيب ولم يرد

أومأ الرجل برأسه مرة أخرى ثم رحل..

عاد الأشيب بنظرة للحاسب..

لنلتفت بالكاميرا ببطء ونرى ما الذي على شاشته..

شاشة مربعة تظهر أربع مشاهد مختلفة لكاميرات بث مباشر..

علي أقصى اليمين نرى رجلًا نائمًا.. أسفله نافذة وطريق أسفلتي يتحرك.. المشهد الثالث كان ظلام.. المشهد الرابع كان طفل في دورة المياه.. وأصابعه تتحرك على الشاشة بسرعة..

لنقترب من الشاشة أكثر.. لندلف إلى الأثير الإلكتروني.. لنعبر العوالم الأربعة التي رأينها وندرك أننا كنا ننظر إليهم أمام كاميرا هواتفهم المحمولة أو حواسبهم الآلية..

لتعود الشاشة لوضعها الطبيعي ويقول كارم لرنا: ما الذي رأيته؟

- ماذا؟

- طيلة تلك الأشهر.. كنت أفكر كالمحموم.. تلك الليلة.. أنت قلت لي أنك رأيت شيء ما.. شيء آثار قلقك.. قلت لنفسي ألا من وجود علاقة بين ما حدث لك وما رأيته..

عقدت رنا حاجبيها.. بدا أنها تحاول أن تتذكر.. ثم قالت: لا أتذكر..

ثم تهدج صوتها وبدأت تبكي وقالت مرة أخرى: لا أتذكر..

احتضنها كارم برفق.. وأغمض عينيه في ألم..

عندما تتلاقى الأسهم

فتح رامي عينيه واعتدل في سريره بعنف..

أحيانًا ترى شيئًا لكنك لا تراه حقًا.. فقط تختزنه في عقلك.. هو قابع في إدراكك.. لكن عقلك المنهك لا يميزه ولا يعطيه استيعابًا.. ولكن أرخ عقلك قليلًا.. أطلق العنان لخلاياك الرمادية كي تداعب الفراغ.. وحينئذ ستدرك

كل شيء..

- أيها العجوز ما الذي كنت تقصده..

أحيانًا نرى الكثير من الأشياء دون أن نلاحظها..

كمعرفتك لفتاة رائعة تراها يوميًا ثم تدرك بعد فوات الأوان أنك تحبها..

كرؤيتك لما كان يشير إلى سبابة العجوز الميت ثم تلاحظ مقصده متأخرًا..

كرؤيتك لنفس الشيء مرارًا وتكرارًا دون أن تلاحظه حقًا حتى تعتقد أنه شيء عادي لكثرة وجوده..

التحرش.. أطفال الشوارع.. البلطجة.. العنف..

كل تلك الأشياء تعتاد عليها فتراها دون أن تلاحظها..

أو في تلك الحالة.. الشيء الذي كان يشير إليه إصبع العجوز..

لوحة إعلانية ضخمة لمسلسل تليفزيوني ولوجو غريب الشكل

خرج رامي إلى شرفته مسرعًا ونظر إلى اللوحة الضخمة الإعلانية قبالة البناية التي لم تزل بعد للمرشح الرئاسي السابق..

إلي اللوجو الأحمر القبيح على اللوحة الإعلانية..

فتحت رنا عينيها.. كارم كان مستيقظًا جوارها ينظر إليها وهي نائمة..

- لقد تذكرت..

بدأت تقلب في التلفاز في ملل....

إعلان تليفزيوني عن مسحوق غسيل جديد.. وفي الخلفية هناك لوجو أحمر قبيح لا تعلم إن كان يخص القناة أم المنتج..

.. إعلانات جانبية على صفحة الفيس.. لوجو أحمر قبيح لإعلان عن

خصم ما ومنحة كورسات لغة إنجليزية.

تجول عينيها في أدوات المطبخ.. القهوة.. الكوب الضخم.. الميكروويف واللوجو الأحمر الصغير الملصق عليه.. الممسحة..

ارتطم بها نسيم الهواء البارد وهي في الشرفة وانتعشت..

ثم عقدت حاجبيها.. أحقا هذا الذي تراه؟..

تراجعت للوراء في خوف..

أمامها اللوحة الإعلانية للمرشح الرئاسي ويعتليها اللوجو الأحمر الصغير..

كانت تلهث في انفعال ثم هتفت في كارم.. خذني للشرفة.. سأريك..

حملها الأخير بين ذراعيه وذهب بها للشرفة.. أشارت للوحة الإعلانية وهتفت: ألا ترى؟

- هذا اللوجو الإعلاني.. لقد رأيته مرارًا.. في التلفاز.. على المنتجات.. في الإعلانات.. على أي شيء تقريبًا.. حتى في الأفلام.. في المشهد يجلس البطل مع البطلة في كافيه ما فترى اللوجو على مشروب أو على قميصه.. والآن هو على صورة المرشح الرئاسي؟.. ألا ترى؟..

كان رامي يتحدث في حماسة في الهاتف وأردف: لقد صورته بهاتفي وبحثت بالصورة على الإنترنت.. اللوجو يخص شركة قابضة استثمارية.. مجموعة من المستثمرين بلا ترخيص تجاري أو أسماء مسجلة للذمة المالية.. لا أحد يعلم من هم.. واللوجو الخاص بهم علامة تجارية موجودة على منتجاتهم.. ألا تفهمين.. اللوجو موجود على منتجاتهم.. على المرشح الرئاسي.. تلك المجموعة تستثمر البلد كلها.. كمنتج قابل للتعديل.. ألا تفهمين.. إنها النظرية الاقتصادية العظمى.. البشر هم المنتج.. أنهم يتحكمون في كل شيء.. تلك المنظمة.. والعجوز قال إنهم يستمعون لكل شيء.. ويراقبون كل شيء.. ولم لا.. إننا نستخدم كل منتجاتهم.. لا بد من

مراقبة عبيدهم والتأكد من أننا جميعًا مطيعون ونسير على خطتهم.. يشتتونا بمشاغل حياتنا اليومية ويتحكمون في كل شيء..

لم تمنع ريهام الضحكة القوية التي صدرت منها وهي على الناحية الأخرى من الهاتف وقالت: رامي.. أنت بنيت كل هذا الهراء لأن العجوز قال لك إن أحدهم يراقبه وهناك لوجو إعلاني مكرر على أكثر من لوحة إعلانية ومنتج؟

- كلا.. لقد قضيت أربع ساعات أبحث على الإنترنت.. أنا صحفي يا ريهام

- ولهذا خيالك الرومانسي اتي بتلك الفرضية الخرقاء.. رامي سنتحدث غدًا لا بد أن أكمل نومي..

أنهت ريهام المكالمة.. زفر رامي بقوة وحاول أن ينام دون فائدة..

عاد كارم برنا إلى الفراش.. كانت تبكي.. في حرقة..

- أنت تعتقد أنني خرقاء.. لكن هذا ما لاحظته.. هذا اللوجو.. متكرر في كل شيء.. لا أعلم إن كان لهذا علاقة بما حدث لي أم لا.. لكن هذا هو ما لاحظته..

هز كارم رأسه.. ظل معها حتى نامت..

ثم ذهب ووقف في الشرفة ينظر للمدينة.. ولمح المتسول ذا الشعر الأسود الطويل واللحية والثوب الممزق.. كان ينظر لكارم مبتسمًا.. ثم تحركت شفتاه كأنه يقول: شيء بشع سوف يحدث في البناية

تابعت عينا كارم المتسول.. وعقد حاجبيه.. شيء أبشع سوف يحدث؟.. ثم عاد بناظريه ولم يجد المتسول..

خرج كارم من الشقة بعدما تأكد من أنها نائمة وذهب للطابق العلوي.. للمهندس أحمد عبد القادر..

لتنقسم الشاشة إلى النصفين..

نرى رنا نائمة في فراشها..ورامي نائم في فراشه..

نقترب من الهاتف المحمول بجوار رامي..

ومن الحاسب الآلي المتنقل الملقى بإهمال في الخلفية وراء رنا..

لندلف للأثير الالكتروني.. نعبره ببطء.. ونرى المتلقي على الناحية الأخرى..

نرى مكاتب متعددة وحواسب آلية وشاشات مجسمة مقسمة إلى مربعات تظهر العديد من المشاهد..

بشر نائمون.. في سياراتهم.. يمارسون الجنس.. يسرقون.. يتشاجرون.. يقتلون.. حيوات متعددة على تلك الشاشات.. نرى جهازًا يحلل ويقيم ما يراه وما يسمعه..

ويعطي الضوء الأخضر للأنماط الطبيعية وما تتضمنه من قتل وسرقة وخلافه..

يعطي الضوء الأصفر " أي هؤلاء الذين يستدعون الاهتمام والتحقيق في أمره ".. غالبًا يكون هؤلاء من أبدوا بوادر لمخالفة الأنماط الطبيعية أو الخروج عن المألوف..

ويعطى الضوء الأحمر " هؤلاء الذين وجب إنهاء دورة حياتهم ".. هؤلاء إما يكونون خطرًا مباشرًا على المنظمة أو بدأوا يفكرون في أمور لا تخص حياتهم اليومية واحتياجاتهم الشخصية..

وبإمكاننا أن نرى أن الجهاز يعطي الضوء الأحمر مرة أخرى لرنا..

تذكر انك حملت تلك الرواية من موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والنادرة والجديدة

ويتحول الضوء الأصفر على الشاشة التي تبث رامي وهو نائم إلى الأحمر.

الفصل العاشر

طرق كارم باب المهندس عبد القادر ووقف ينتظر..

مر الوقت بطيئًا ثم انزاح الباب ببطء مصدرًا أنينًا خافتًا.. ظهر وجه المهندس ملفوفًا بالضمادات البيضاء.. انزاح جانبًا وأشار لكارم بالدخول..

دلف كارم في صمت إلى الشقة..

جلس قبالته المهندس في الصالة..

جلس كارم على الأريكة متوسطة الحجم عديمة الشخصية في منتصف الصالة بينما جلس المهندس على كرسي ضخم كئيب لا يمتلكه سوى رجل متزوج أو مطلق.. العازب يمتلك كراسي حديثة ورشيقة كالمراهقات..

ترتكز الكاميرا على كارم والبشمهندس يتحدثون بينما في الخلفية نرى دورة المياه..

نظر كارم للمهندس أحمد في الكثير من الصمت.. كان يشعر أن هناك صلة ما بينه وبين هذا الرجل.. كلاهما يعرف الكثير عن الظلام.. عن الألم والوحدة.. تنهد كارم ثم قال في تردد: هناك شيء ما.. أنا متأخر في الإيجار.. وصاحب الشقة اتصل بي عدة مرات.. أنت تعرف أن الناس لا يهتمون سوى بالمال.. أنا لا أستطيع أن أنقل الآن بعد أن خرجت هي من المستشفى.. ليس الآن.. أنا فقط بحاجة لمبلغ.. آه.. مبلغ من المال..

أنهى كارم كلامه ونظر للمهندس منتظرًا رده.

أومأ المهندس برأسه ببطء بعد تفكير ثم قال: كم تحتاج؟

ضحك كارم.. بقوة وصوت عال.. قبل أن يهب واقفًا ويقول في حماسة وكأنه يقدم فكرة في السيرك: لا شيء.. كنت فقط أريد أن أجرب دور الرجل العادي..

ساد الصمت لوهلة ثم قال المهندس ماذا تقصد؟

- أقصد أنني سئمت تلك اللعبة

.. فتح أحمد فمه ليقول شيئًا لكن كارم قاطعه بانفعال غاضب:

- رنا نائمة.. أنا أشعر أنني على وشك الجنون.. لا أعلم كيف سأقضي الليلة.. أنت لا تتخيل ما معنى أن يحدث لك شيء غير متوقع.. لا لزوم له أن يحدث لك.. لكنه يحدث.. ويقلب حياتك على رأسًا على عقب.. تتذكر ما حدث قبل حدوث الشيء.. كيف كانت أيامك.. عندما كنت لا تدري.. تشعر بالملل.. تبحث عن المغامرة.. أنا أرحب بالمغامرة.. لكني أنا – كارم العدوي – لا أرحب بوجود ضحايا.. ورنا وهدير وزوجها ضحايا.. تقضي حياتك كما تريد.. ثم يحدث لك شيء.. ليقضي عليك.. لتصبح تعيش في ألم.. أنت لا تتخيل الغضب والجنون الناتج عن هذا..

ثم نظر كارم لوجه المهندس خلف الضمادات.. إلى صورته عندما كان يحتفظ بوجهه مع عائلته.. وأردف: أو ربما تتخيل..

قال المهندس في هدوء: أنت غاضب للغاية..

هز كارم كتفيه وقال: لقد فشلت في حمايتها..

- أنت رجل غريب..

- ربما.. ألديك بعض الشاي؟

- مئة ألف جنيه.. وشقة تمليك في التجمع.. وفتاة في العشرينيات.. تصبح ملكك دون أسئلة.. وتفعل أي شيء تريده.. هذا هو عرضي لك.. مقابل حياة زوجتك..

رفع كارم رأسه ونظر إلى مهندس.. لم يقل ماذا ولا كيف ولا أي شيء.. فقط ظل كارم العدوي صامتًا.. ينظر بلا تعبير إلى المهندس وقد تيقظت كل حواسه..

أردف المهندس: أخو حمادة.. أبو ربيع.. كان يبحث عن حق أخيه أيضًا ويسأل ويريد الانتقام.. لكننا اشتريناه بخمسين ألف جنيه وشقة في

المقطم.. نحن لا نفضل سفك الدماء إلا في الضرورة.. زوجتك لا بد أن تموت.. أنت لست مضطرًا أن تموت.. لقد درست شخصيتك وتقربت منك.. بإمكانك أن تكون مفيدًا لنا لو أثبت لنا ولاءك وأعطيتها لنا..

ثم قام المهندس وبدأت يفك الضمادات عن وجهه وغمغم: تفقد دورة المياه الصغيرة..

قام كارم في بطء واتجه للمكان المذكور.. فتح الباب في صمت.. على أرضية الحمام كانت هناك جثة.. لرجل محروق الوجه.. وقد تم نحر عنقه.. منذ متى هو هنا؟.. فكر كارم في كل جلساته مع المهندس المزعوم بينما جثته في دورة المياه.. التفت كارم للوراء.. كان الرجل يفك الضمادات من على وجهه..

أنف معقوف.. فك بارز.. وجنتين مستديرتين..

غمغم كارم: أنت الذي هاجمت رنا وقتلت هدير..

أومأ الرجل برأسه.. وقال: بإمكانك أن تدعوني بالمرسل.. أنا أحمل رسالة لك.. دعوة لحياة رغيدة.. أي رجل عاقل سيقبلها.. كم من رجل مصري ماتت زوجته أو أصابها الشلل أو حتى أصابها العقم فتركها وتزوج غيرها.. الرجل يتزوج للحاجة ليس أكثر.. للحاجة الاجتماعية أو الجنسية أو المادية أو للبنوة.. لا أكثر ولا أقل.. لا أحد يتزوج بسبب العاطفة.. أنت تخلط هذا مع الجنس.. اقبل دعوتنا الآن وستكون منا.. سنضمن ولاءك.. وسيصبح لك ما تريد..

- من أنتم؟

- بإمكانك أن تدعونا بالمنظمة.. لو قبلت دعوتنا ستعرف أكثر.. ستروي فضولك.. أعطني مفتاح شقتك.. وتنح جانبًا.. وتظاهر بأن شيئًا لم يحدث.. هذا هو كل ما عليك فعله..

لم يرد كارم..

أشار له المرسل وقال: انظر من النافذة

ذهب كارم ونظر من النافذة.. في قلب الليل.. وقف سبعة رجال أمام البناية ١٠٦.. في صمت.. وانتظار.. كانوا بلا شخصية ولا ملامح.. مجرد كيانات فارعة القامة متينة البنيان تقف تنظر للبناية في صمت..

جاء صوت المرسل من خلف كارم: هؤلاء معي.. لو رفضت.. سيدخلون البناية ١٠٦.. ويذبحون زوجتك وأنت بعدها..

ثم هز المرسل كتفيه وتابع: غريب أمر البناية ١٠٦.. أول مرة تكون هناك بناية بها اثنان اقتربا من الحقيقة.. زوجتك وهذا الصحفي رامي.. والليلة يرحل الاثنان.. ما هو قرارك؟..

التفت كارم للمرسل.. نظر إليه لوهلة.. تذكر هدير وزوجها بكر.. تذكر رنا.. ثم قال: الليلة ستموت أنت ومن معك..

لم يبد أي تعبير على وجه المرسل.. كان يبدو كرجل أعمال يتلقى خبرًا روتينيًا عن رفض صفقة ما.. قال: اذهب واحتضن زوجتك.. ودعها.. أمامك عشر دقائق قبل أن نأتي إليكم..

ثم خرج ببطء من الشقة..

ظل كارم واقفًا قبالة النافذة.. رأى المرسل يخرج من البناية ويقف مع السبعة وينظر معهم للبناية في صمت.. ثم رفع رأسه ونظر للنافذة حيث يقف كارم العدوي..

وأخرج مدية من جيبه.. أخرج الواقف وراءه ساطورًا ضخمًا.. بينما أخرج آخر فأسًا صغيرًا..

تنهد كارم.. شعر بيديه ترتجفان.. بالأدرينالين يتثاءب مستيقظًا في جسده..

ثم خرج من شقة المهندس مسرعًا إلى شقته..

الفصل الحادي عشر

- تبا

هتف رامي بالكلمة وهو يحاول الاتصال بريهام.. لا يوجد تغطية لشبكة الهاتف.. ولا توجد حرارة في خط الهاتف.. ولا يوجد إنترنت في حاسبه الآلي..

هز رأسه في حنق.. لماذا تنقطع كل وسائل الاتصال في تلك الليلة اللعينة.. الأرق لا يجعله ينام.. التفكير يعبث بعقله ويجعله كالمحموم..

هل هو مصاب بالبارونيا.. أم أن الاكتشاف الذي قام به " عنهم " حقيقي؟.. لا يعلم.. ليته يعلم

تعالى صوت الطرقات على باب شقته فهب مفزوعًا..

اتجه للباب وفتحه.. ناسيا أن ينظر من العين السحرية..

وراء الباب كان يقف كارم حاملًا رنا بين ذراعيه.. تعبير قوي من الفزع على وجههم..

- ماذا..

- أنت رامي.. الصحفي؟

- آه

- إنهم قادمون..

فتح رامي فمه في غباء.. صاح كارم: انظر من نافذتك..

هرع رامي لنافذته ونظر للشارع..

أمامه كان يقف ثمانية رجال بأسلحة بيضاء حادة وضخمة.. عقد حاجبيه في غباء.. هتف كارم: أنت تعلم عمن أتحدث؟

- ت.. تقريبا..

- هم قادمون من أجلك ومن أجل رنا.. لا يوجد وسيلة للخروج من المبنى.. ولا أي وسيلة اتصال بالعالم الخارجي.. نحن معزولون.. أمامنا ثلاث دقائق كي يدخلوا..

- كيف تعرف هذا؟

- هو قال لي؟

- ها..

- سأشرح لك فيما بعد.. ساعدني كي أخبئ رنا..

- ماذا؟..

اعتدلت ريهام في سريرها في بطء ومسحت دموعها ثم اتجهت لتفتح باب الشقة بعدما تعالى رنين الجرس الذي يرن بلا انقطاع..

لا يهم أي شيء الآن..

فتحت الباب لتجد رامي وكارم ورنا..

- ريهام.. أنت المكان الوحيد الآمن في تلك البناية اللعينة.. دعينا ندخل وأغلقي كل وسائلك الالكترونية كي لا يسمعوننا..

من بعيد كان يسير أحمد التيم ليدر مع ندى المدربة.. التفت كلاهما للوراء ونظرا للرجال الواقفين أمام البناية ثم دلف أحمد إلى سيارته وجواره ندى.. قالت ندى لأحمد: سنكون أفضل حال في فرع الإسكندرية

ونظر الاثنان للبناية مودعين إياها بأعينهم قبل أن يبتعدا.. لقد تلقيا إخبارية من المنظمة أنه تم نقلهما لفرع الشركة في الإسكندرية..

حارس العقار كان نائمًا مع زوجته البدينة عندما انزاح باب البناية.. ابنه ذو الثمانية أعوام كان مستيقظًا.. ذاهبًا ليبتاع بعض السجائر لأبيه.. عندما التقى في الممر برجل ضخم أصلع ذي لحية مهيبة.. رفع الفتى عينيه تجاه

الزائر..

ثم طارت رأسه من فوق عنقه لتستقر في الركن وتهاوى جسده الباصق للدماء على الأرض في بطء..

عندما فتح حارس العقار عينيه وجد رجلين جواره.. أحدهما يكبل زوجته بينما الآخر يعتدي عليها.. كانت أول فكرة أتت في عقل حارس العقار هو لماذا قد يقوم أي أحد باغتصاب زوجته البدينة.. ثم تملكه الفزع وفتح ليصرخ.. وقبل أن تؤدي حباله الصوتية عملها انغرز في فمه سيخ حديدي طويل.. وانزلق تدريجيًا ليمزق بلعومه ويخترق رئتيه.. شعر حارس العقار بالحرارة في جسده.. وبألم حاد في ظهره.. ثم تصاعد الألم لصدره.. تحشرج صوته وابتلع بعضًا من دمائه ثم سقط جثة شاخصة البصر..

سحب الرجل السيخ من جسد حارس العقار والتفت للزوجة التي تنظر له في رعب متوسلة له أن يتركها.. وضع السيخ جانبًا وفرد سبابتيه وغرزهما في رأسها ببطء.. ظل جسد المرأة ينتفض.. أخرج الرجل إصبعيه الملوثتين بالدماء وأجزاء من مخ المرأة.. واعتدل الآخر من على جثتها وخرجا من غرفة حارس العقار..

- هذا جنون..

هتفت ريهام بالعبارة..

كانت تجلس في صالة شقتها وأمامها رامي يتحرك يمينًا ويسارًا في عنف بينما كارم جالس يحتضن رنا..

تابعت ريهام: رامي أنت لا تصدق هذا الهراء..

- ألم تسمعي حرفًا مما قلته لك.. انظري من النافذة يا ريهام

اتجهت ريهام للنافذة ومدت رأسها لتنظر للخارج ثم قالت: لا أحد هناك..

غمغم كارم: لقد دخلوا

- آه.. يا للهراء.. منظمة تتحكم بنا.. وتراقبنا عن طريق اعتمادنا على وسائلهم الالكترونية.. أي أحد يستخدم الإنترنت عن طريق لاب توب أو هاتف جوال يصبح فريسة لتنصتهم الالكتروني؟.. نستهلك منتجاتهم يوميًا؟.. ويعبثون في لا وعينا طيلة الوقت بإعلاناتهم البراقة التي تملأ الشوارع والمجلات والمواقع الالكترونية؟.. ويعيشون هم كالملوك بينما نحن العبيد من يتجرأ منا على السؤال يتم ذبحه.. أي حمق هذا.. ومن هم؟

- لا أحد يعلم.. ريهام اسمعيني

- كلا.. حتي لو سأتبنى منطقك.. لماذا يقتلون بهذا العنف؟.. أليس من الأفضل تدبير حوادث طبيعية كما في الأفلام؟

لم يرد رامي.. أجابها كارم في شرود: لأنهم لا يهابون أحدًا.. لا يخافون الرأي العام لأنهم هم الرأي العام.. لا يهابون القانون أو السلطة لأن تلك أدواتهم التي يستخدمونها للتحكم في العامة.. هم يديرون كل شيء.. لكنهم يتخلصون ممن يعلم.. حتى لا يخاطرون أن يتكون مجتمع من هؤلاء الذين يعلمون.. هم لا يريدون سوى مجتمع واحد.. الغافلون..

- اسمعوني.. فور أن تعود الحرارة سنتصل بالشرطة وتخرجوا من شقتي..

- لن تعود الحرارة..

نظر رامي لكارم وقال: ما الذي سنفعله.. آجلًا أم عاجلًا سيأتون طرقًا على هذا الباب.. لا بد أنهم يعلمون بعلاقتي مع ريهام..

ثم تراجع رامي في صدمة كأنه يستوعب حقيقة ما يحدث للمرة الأولى وخبت حماسة الاكتشاف وحل مكانها الهلع وردد في خوف: لا بد أن يعلموا كل شيء عني.. كل شيء.. الخصوصية ليست إلا مزحة سخيفة نوهم أنفسنا بها.. أتتخيل؟.. كل مواقف حياتك الخاصة.. أو الأوقات التي اعتقدت أنك فيها وحدك.. هم كانوا معك.. كل الوقت.. معك.. يراقبونك

أومأ كارم برأسه.. تذكر أول مرة يسرق فيها وهو مراهق.. مطاردة الشرطة له.. لم يكن ذلك ضمن الخطة.. قال: سنرتجل..

ووقف وأشار لرامي أن يأتي معه..

- رنا ومدام ريهام.. ابقوا هنا.. اختبئوا.. هم ثمانية.. سنحاول تقليل عددهم..

ثم انحنى على رنا.. دموعها قد جفت.. على وجهها نظرة شاردة من اللامبالاة واليأس.. هي مشلولة.. لو لم تمت ستظل مشلولة.. لا يهم شيء الآن.. تذكرت نفسها وهي عارية بينما كارم يحملها كالأطفال ويغسلها وهي مشلولة ومريضة.. ستظل هكذا للأبد.. تتبول في الفراش.. وهو ينظف وراءها.. شعر كارم بكآبة روحها فأغمض عينيه في ألم.. انطلق عقله يفكر.. سيحميها.. وبعد أن ينجو بها.. سيجد حلًا.. سيجعلها سعيدة.. قبلها بعنف على جبينها وقال: سأعود..

ثم وقف ونظر لرامي: من الأفضل أن تبقى هنا وتحاول حمايتهن لو أتى أحدهم.. سأذهب وحدي..

ظل رامي واقفًا في تردد.. جال كارم بعينيه باحثًا في الشقة حتى وجد ضالته.. دلف إلى المطبخ وخرج حاملًا في يده سكين مطبخ ضخم.. وساطور.. أعطى رامي الساطور وقال: احميهن

ثم قبض على سكين المطبخ بيده وفتح باب الشقة ببطء.. بعد أن نظر من العين السحرية ليتأكد من خلو الردهة.. ثم خرج من الشقة وأغلق الباب وراءه بحرص..

غمغمت ريهام: يا للجنون..

نظر رامي لها في قلق صامت..

لنتحرك بالكاميرا بعيدًا عن وجه رامي.. لنمر على وجه رنا.. ونلقي نظرة عابرة إلى ريهام.. ثم نولج بالكاميرا لغرفة النوم الأخيرة.. حيث يرقد جسد

والدتها بعد أن أولجت ريهام السكين في عنقها منذ عشرين دقيقة.

مسحت ريهام دموعها

لا يهم شيء الآن.. ذهبت لتفتح الباب

لنتراجع بالكاميرا ونلقي نظرة للعجوز الغارقة في دمائها على الفراش قبل أن تظلم الشاشة معلنة نهاية المشهد..

*****

الفصل الثاني عشر

وقف كارم في الردهة الخالية.. في ظهره باب الشقة التي تحتضن رنا ورامي وريهام.. أمامه البناية.. صامتة.. تنظر له في خبث.. لتتنقل الكاميرا بين ردهاتها.. وأبوابها.. طرقاتها.. نرى السلم.. ونرى ظل أحدهم..

سار كارم ببطء ودلف للطابق السفلي.. كان يسير بحرص.. يداه ترتعش من الأدرينالين..

ما الذي سيفعله؟.. هو لن يقدر أن يقتلهم جميعًا.. هؤلاء الرجال.. تلك البنية.. هذا النوع من الرجال له هيبة معينة.. تلك الصلابة.. الضخامة.. سيفترسونه في نصف دقيقة..

هو لا يضع الخطط.. فقط يتصرف.. يفعل..

لكن مع هؤلاء.. كيف؟

هو ليس صلبًا لتلك الدرجة.. يعلم ذلك.. ليس بإمكانه مصارعة رجلين أو ثلاثة.. ليس بإمكانه قتلهم جميعًا بيديه.. ما حدث مع حمادة كان ضربة حظ.. وحتى مع حمادة لم يمت الفتى على يدي كارم.... لكن الصلابة لم يكن لها علاقة حقيقية بالأمر.. الغضب هو القوة الحقيقية..

الإصرار على الفوز.. والغضب.. هذا هو ما كان يجعله صلبًا....

عليه أن يجد خطة..

توقف قطار أفكاره وتراجع كارم للوراء عندما انفتح باب المصعد..

خرجت منه فتاة في العشرينيات ترتدي تنورة قصيرة.. كانت حاملًا.. في الشهر السابع أو الثامن.. تلك المعدة الممتلئة تقول هذا بوضوح..

سوداء الشعر.. مستطيلة الوجه.. عينان ضيقتان وأنف صغير.. كانت حسناء.. والآن هي حامل لكنها لا تزال حسناء وهذا يقول لك شيئًا عن درجة جمالها..

جسد الفتاة يتغير عندما يصبح بداخلها كائن حي.. تتحول من كائن رقيق لكائن خطير تشعر بالهيبة من كينونته..

كان كارم يقف في الظلال ولم تره الفتاة..

لكنها رأت الرجلين اللذين صعدا السلم فجأة..

اثنان منهم..

القامة الفارعة.. المنكبين العريضين..

هم..

تحاشت الفتاة النظر إليها واتجهت لشقتها..

أخرج أحدهم خطافًا معدنيًا حادًا منحنيًا على نفسه من جيبه بينما اتجه الآخر للفتاة..

لم ترهم.. لا تزال تسير ناحية شقتها..

اتسعت قدحتا عين كارم.. لقد أفلتوا الكلاب الجائعة على جميع قاطني البناية ١٠٦.. هؤلاء الذين يتحكمون بكل شيء.. شيء مريع سيحدث بالبناية ١٠٦ وها هو ذا يحدث.. يختارون من ينجو ومن يموت.. من يسجن ومن يعيش في رفاهية.. سيفتكون بكل قاطني البناية ١٠٦ ثم يحركون دمي الإعلام ليعالجوا الموقف وتقبض الشرطة على كبش فداء ما ثم

يدفعون بمخرج متحمس لا يبدو وكأنه منهم لكنه منهم ليصنع فيلمًا ما عن البناية يحرف الأحداث تمامًا.. ويتغير التاريخ.. هؤلاء الذين يبتلعون الحقيقة.. صانعي الحقيقة..

قبض الرجل على شعر الفتاة الحامل وجذبها للوراء في عنف..

صرخت في هلع..

احتضنها بعنف من ظهرها وقبض بذراعه الأخرى على عنقها فثبتها تمامًا.. وقف الآخر ذو الخطاف أمامها..

انتفض جسد كارم..

تحسس الرجل معدتها ببطء..

توسلت الفتاة.. صرخت.. بكت..

هنا أدرك كارم أن الآخر لا يثبتها فحسب.. بل يضغط على عنقها تدريجيًا.. الفتاة تختنق..

رفع الآخر الخطاف في الهواء..

فغر كارم فاه في لا تعبير وهو يتحرك بسرعة تجاههم..

هوى الرجل بالخطاف على معدة الفتاة..

بدا لكارم أن الزمن قد توقف وأن الأمر كله حدث في ثوان معدودة.. كفت ساعة الوقت عن الدوران.. ثم عادت مرة أخرى عندما تحرك الخطاف المنغرز في معدة الفتاة.. يتحرك بعنف ليرسم ابتسامة واسعة على معدتها..

انبثقت الدماء.. بقوة.. كالفيضان.. وسقطت الفتاة أرضًا بينما جسدها لا يتوقف عن الانتفاض.. دلف الرجلان للمصعد ولم ينظرا وراءهما..

زاد كارم من سرعته تجاههم لكنه لم يلحقهم.. وقف وهو يلهث غضبًا أمام المصعد قبل أن ينظر لجسد الفتاة ويقول: أنا آسف.. سيدفعون

الثمن.. أعدك بهذا

ثم انحنى وأمسك يدها برفق وأردف: أنت لا تعرفينني.. أنا كارم العدوي.. سامحيني لأني لم أصل في الوقت المناسب.. سيدفعون الثمن

ثم وقف كارم بسرعة وعاد للشقة.. طرق باب ريهام بعدما تأكد أن أحدهم ليس وراءه..

فتح رامي الباب بعدما نظر من العين السحرية..

دلف كارم للشقة وأغلق الباب وراءه.. نظر لرنا الجالسة ولريهام الواقفة.. ثم قال لرامي: تعال معي..

دلف الاثنان للمطبخ

- ما بك؟

- هؤلاء ليس بشر

- ما الذي تعنيه

- هؤلاء ليسوا بشرًا.. المهندس عبد القادر.. أو الذي كان عبد القادر أخبرني ما الذي سيحدث لأنه يعلم أننا محاصرون كالفئران.. لأنه واثق أنه سينتصر.. سيقتلون ويغتصبون كل قاطني البناية ١٠٦.. سيطرقون كل باب.. هؤلاء ليسوا بشر.. وقد اتوا هنا من اجل الدم.. والدم هو ما سيحصلون عليه.. عليك أن تساعدني.. لا بد أن نفكر..

حاول رامي أن يرد لكنه لم يجد شيئًا ليقوله فظل صامتًا..

تلك المرة خرج رامي وكارم من الشقة سويًا.. جلست ريهام قبالة رنا ونظرت لها.. بدا لها أن ريهام شاردة وتنظر من خلالها فلا تراها فعلًا.. ثم تنبهت ريهام لرنا وابتسمت مجاملة..

وفي غرفة نوم ريهام كان لا يزال يرقد جسد والدتها.. لكن سكين المطبخ لم يعد بعد منغرزًا فيه.. لقد كان في الجيب الواسع الخاص بروب ريهام

الجالسة قبالة رنا.. رفعت رنا عينيها لريهام فابتسمت لها الأخيرة مرة أخرى..

*****

الفصل الثالث عشر

لا هواتف محمولة.. لا حواسب آلية.. لا كاميرات مراقبة.. لا اتصال بالإنترنت أو بشبكة الهواتف الخاصة ولا الحكومية.. لا أسلاك.. البناية ١٠٦ في يد الطبيعة.. الحياة تفرض سيطرتها بشكلها البدائي..

تحرك الرجل الضخم وفي يده الساطور المطلي بالدماء والأشلاء..

مرحبًا بكم في قلب الطبيعة..

نرى كارم ورامي يتسللان من الردهة إلى السلم المؤدي للسطح..

همس كارم: علينا أن نصل للسطح.. فقط علينا أن نصل للسطح..

لم يرد رامي..

شعرت رنا بجفنيها يثقلان.. من الغريب أن يداهمها النوم في مثل هذا الوقت.. لكنها تشعر بلامبالاة قوية.. لم يعد شيء يهم.. هي لن تسير مرة.. لقد فقدت قدرتها على تذوق أي شيء.

عادت للواقع على صوت ريهام السمج..

- أنت منين بقه؟

تبا.. حديث تقليدي.. لكم بدا لها الموت فكرة مرحة في تلك اللحظة..

وقف المرسل في الطابق السادس.. يقف كالتمثال دون أي تعبير على وجهه.. عيناه هي الجزء الوحيد الذي يجعلك تدرك أنه ليس تمثالا.. عيناه تجولان في برود مميت بين ردهات وأبواب الطابق.. يقف كرجل ينتظر العاصفة ويبغيها.

وصل كارم ورامي للطابق الرابع..

همس رامي: أين هم؟

لم يرد كارم.. كان يفكر في الشيء ذاته..

وراءهم انعكس ظل ضخم للنافذة المفتوحة على الشارع الخارجي فبدا أنهم في لوحة مرسومة..

في إرهاق شارد بدأ رامي يتحدث: أنا خائف.. أنا أكره أن أكون خائفًا.. أنا لا أحب الألم.. لا أحب المشاكل كثيرًا.. لكني لا أحب أن تكون حياتي نهرًا هادئًا في الآن ذاته.. لا أعلم ما الذي أريده.. لم أستطع الحياة مع عائلتي.. فعشت وحيدًا.. لكني لا أحب أن أكون وحيدًا..

- أنا أحب أن أكون وحيدًا

- لكنك تحب زوجتك.. هذا واضح.. وغريب.. لا يوجد الكثيرون الذين يحبون زوجاتهن..

- آه هه..

- آهو حقيقي؟

- ما هو؟

- الحب.. يبدو كسؤال سخيف أليس كذلك..؟.. أقصد.. المال حقيقي.. التخطيط والعمل والحياة العملية.. بالنسبة لنا.. الرجال.. كلنا نسير على النهج ذاته..

كاد كارم أن يبتسم.. ماذا لو أخبر رامي حقيقة شخصيته.. وأنه لم يهتم كثيرًا بالمال.. ماذا لو أخبره أنه قتل من قبل.. وسرق.... وتنقل كابن بطوطة من مكان إلى مكان دون توقف.. كلا.. هو لا يسير على نهج رامي.. لكنه يفهم كلام الأخير.. هو يسير على نهج رامي الآن.. منذ أن قبل بمهمة حماية رنا وفشل فيها..

بالنسبة لكارم المال لم يكن حقيقيًا.. ولا العمل ولا التخطيط العملي.. بالنسبة لرامي تلك الأشياء هي الحقيقة.. لقد رفض كارم أن يكون عبدًا للأهداف والديون والقلق والواقع المحيط به.. وخرج عن دائرة المجتمع فأصبح مغامرًا حرًا ولم تعد الحياة العادية من حقوقه..

أجابه كارم: الحقيقة شيء نسبي

- لكنك تعتقد أن الحب حقيقي؟

مط كارم شفتيه ولم يجب..

أردف رامي: أنا خائف.. أتذكر وأنا صغير عندما كنت خائفًا واحتضنتني والدتي وقالت لي.. غفففغ

تحرك الظل الضخم وراءهم فجأة.. ليكشف عن أحدهم.. كان ضخمًا متين البنيان صلب الملامح.. وغرز الماسورة الحديدية الصدئة القابض عليها في يده في مؤخرة عنق رامي.. الماسورة كانت صدئة وقديمة ولم تنغرز بسلاسة.. فقبض عليها الرجل بكلتا يديه ودفعها بقوة.. تكور الجلد حول الثقب الدموي وتطايرت الدماء يمينًا ويسارًا.. وتطاير الكثير منها على وجه كارم..

ثم دخلت الماسورة أخيرا.. سمع كارم صوت عظمة تنكسر وتحتك بأخري... رأى الألم.. رآه بصورته المجسدة على وجه رامي..

خرجت الماسورة من فم رامي بسرعة كقطار واستقر طرفها على الأرض.. بينما طرفها الأخرى مستقر لأعلي بفخر.. جسد رامي كان متصلبًا وعيناه محدقتان في الفراغ.. لم يعلم كارم أهو لا يزال على قيد الحياة أم لا.. جسده ينتفض ببطء والدماء تتطاير بمرح.. ظلت محبوسة داخل جسد رامي طيلة تلك السنين والآن وقت الحرية..

حدث الأمر كله في عشرين ثانية..

رفع كارم رأسه للضخم.. أمامه ثانية واحدة كي يتخذ القرار.. ينقض

عليه ويحاول أن يستخدم سكين المطبخ المتدلية بخجل من يده.. أم يعدو للناحية الأخرى محاولًا الوصول للسطح..

استدار كارم وعدا بقوة.. الرؤية تهتز.. صوت أنفاسه.. لهاثه.. الطابق الخامس.. السلم.. اعدو.. لا تنظر للوراء.. ليس الآن.. أنت لن تقاتلهم الآن.... اذهب للسطح واستغث.. لا لنفسك بل لكي تنقذ رنا.. لا يوجد أمامك حل آخر..

الطابق السادس.. هيا.. عليك أن تصل للسابع.. لا تنظر للوراء..

انظر للأمام.. واصل العدو..

أمامه كان يقف المرسل.. توقف كارم عن العدو وكاد يتعثر.. ثم رفع قامته ووقف قبالة المرسل..

تبادل الاثنان النظرات الصامتة لثوان..

ثم سمع كارم الصوت وراءه.. تبا لقد اتبعه الضخم..

التفت كارم للوراء بسرعة.. ووجد اليد القوية المفتوحة تلطم وجهه وتتبعها اليد الأخرى المغلقة بلكمة قوية.. بينما شعر بألم حاد بين ساقيه.. لقد ركله..

انحنى كارم وبصق دمًا.. قبض الضخم على عنقه ثم ضربه بكفه المفتوح مرة أخرى على عينيه..

دارت الدنيا بكارم.. قبض الضخم بكلتا يديه على رأس كارم.. وثبت جسده.. ثم دفع رأس كارم تجاه ركبته..

التصادم كان قويًا.. كنهاية العالم.. كالبركان.. كذروة رنا.. كحادث سيارة.. كقنبلة في فلسطين..

سقط كارم أرضًا وهو يئن.. وأدرك فور أن فعل هذا أن تلك كانت الخطيئة التي سيدفع ثمنها غاليًا..

رفع الضخم قدمه وهوى بها على رأس كارم.. مرة والثانية.. والثالثة.. والرابعة..

- ك.. كفى..

لم يعلم كارم إن كان هذا حدث حقًا أم لا.. لكنه شعر بعظام رأسه تتهشم وتتلوى وتخرج أجزاء منها خارج جلده.. الدماء تغرق وجهه.. إحدى أسنانه ضلت طريقها.. عينه عبارة عن كتلة سوداء ملتحمة..

انحنى عليه الضخم وأخذ منه سكين المطبخ وغرسها في ساقه بعنف.. فتح كارم فمه ليصرخ ثم أغلقه فوزًا من الألم.. لقد خلع فكه.. شعر به يتحرك من مكانه بنعومة عندما فتح فمه..

أدار الضخم كارم على معدته وثبته من ظهره بركبته وقبض بيديه على ذراع كارم وبدأ يجذبه للخلف..

تلك المرة صرخ كارم متجاهلًا الألم في فكه..

أين السكان.. أين الناس.. أهم خائفون.. نائمون.. أم موتى.. أم الثلاثة..

جذب الضخم ذراع كارم بعنف وصدر الصوت التكتكة من كتف كارم.. وبرز رأس العظمة الخجول من أسفل جلده وازرق ذراعه بسرعة مريبة..

صرخ كارم مرة أخرى.. تلك المرة صرخ بغضب..

ابتسم المرسل.. وأومأ برأسه للضخم يحييه على عمله.. هو يعلم أنه - الضخم - في حالة هيجان الآن.. لحظة العنف تلك.. هو لن يتذكر أن المرسل مرؤوسه ولن يتلقى أوامر.. هو منفصل تمامًا عن الواقع.. ومن الأفضل تجنبه.. فاكتفى بأن يومئ له رأسه ثم قال لما تبقى من كارم: أين زوجتك؟

صرخ كارم مرة أخرى في غضب وجنون.. لم يبد المرسل أي رد فعل.. فقط استدار ورحل.. وقال وهو يرحل: سنجدها..

قبض الضخم على السكين في ساق كارم لكنها كانت منغرزة بقوة فظل

يحركها يمينًا ويسارًا حتى سحبها.. كانت ملوثة بالكثير من دماء وجلد كارم وأجزاء ضئيلة من عظامه..

رفع الضخم السكينة عاليًا.. ثم طعن كارم....

همد جسد الأخير.. وقف الضخم ورحل..

لتنقسم الشاشة إلى نصفين..

على اليمين نرى تلك الكتلة من الدماء التي تحول إليها كارم.. على اليسار نرى رنا جالسة مثقلة العينين تحاول أن تتجاهل حديث ريهام وأن تتجاهل معاناتها الداخلية..

لتعود الشاشة لوضعها الطبيعي..

لنتراجع بالكاميرا للوراء ونرمق من منظور الطائر المحلق البناية ١٠٦ من الخارج..

لنرى طائرًا أسود يحلق فوقها

ولتظلم الشاشة معلنة نهاية المشهد

*****

الفصل الرابع عشر

ريهام نائمة على الأريكة بعد أن كفت أخيرًا عن الحديث.. متكورة على نفسها ونائمة كقطة قبيحة..

نظرت لها رنا بازدراء.. هي حتى لا تمتلك هذا.. أن تتكور على نفسها وتنام.. هي لا تستطيع فعل شيء سوى الجلوس الآن..

نقترب من وجه رنا وندلف لنرى ما الذي يدور داخل رأسها..

الألم.. ولا شيء سوى الألم..

فتحت ريهام عينيها..

واعتدلت ببطء من على الأريكة وتثاءبت.. هناك ضوء خفيف ينساب من النافذة.. السادسة صباحًا.. أين الجميع؟

رامي وكارم لم يعودا فيما يبدو..

وقفت وتمطآت في بطء.. سمعت صوت نهنهة قادمة من غرفة النوم.. اتجهت للغرفة بحذر ولم توقد النور..

- رنا؟..

رنا كانت تبكي بحرقة

هتفت ريهام: أجن الجميع؟.. أين كارم ورامي؟

ثم اتجهت لباب الشقة وهتفت: لقد سأمت هذا الهراء..

- لو خرجت ستموتين..

قالت رنا العبارة بصوت متهدج لا مبالٍ منفصلٍ عن الواقع.. كأنها إنسان آلي يقر حقيقة لا أكثر ولا أقل..

تجاهلتها ريهام وظلت تسير تجاه الباب ثم توقفت.. في قليل من القلق.. لماذا لم يعد كارم ورامي؟.. ما الذي يوجد بالخارج؟..

ما الذي يحدث حقًا؟

المشهد: غرفة جلوس ريهام

الأشخاص: ريهام ورنا وظل أحدهم وراء الستار الضخم المقابل للشرفة

الحالة:

رنا: لامبالاة واكتئاب وشرود

ريهام: قلق وشخصية عملية تحاول أن تقتل هذا القلق بالحوار العادي

ولمحة من الجنون على ملامحها

الواقف وراء الستارة: الحالة غير معلومة

الحوار:

ريهام: أتعلمين.. أنا جارتك.. وأليس من المفترض أن نكون أصدقاء وتشتكين لي من زوجك وخلافه؟

رنا: ها.. لم أكن قط من تلك الشخصيات

ريهام:أنا مطلقة.. لم يدم سوى ستة أشهر

رنا: حسنًا

- لم يلمسني رجل في حياتي سواه

- آه

-.. أهو كما يصفونه؟ الحب؟.. لم أجرب هذا قط

- يتوقف على الشخص الذي يعطيك إياه

- ماذا؟

-لم يعطني أحد الحب من قبل

- أنت غريبة

- أنت أيضًا

- كلنا غريبون بطريقتنا الخاصة بشكل أو بآخر على ما أعتقد..

- أنت سمجة ومتعالية.. في أغلب أوقاتك.. لكن تلك الليلة.. أنت واهنة.. بك لمحة آدمية.. منذ قدمنا لك أنا وكارم وأستاذ رامي.. بإمكاني أن أرى هذا.. من قبل حتى أن نقول لك عن الذي يجري في البناية.. ما الذي حدث معك الليلة؟

- والدتي مريضة قليلًا.. أنا أعتني بها لوحدي منذ عقود.. وهي دومًا.. بحاجة للعناية.. مرضها ليس جسديًا فحسب.. لقد أثر على عقلها أيضًا.. أحيانًا لا أشعر أنها هي.. الأشياء التي تفعلها وتقولها لي.. أشياء.. مؤلمة

- والدتك هنا؟

- نعم.. هي نائمة.. ربما يجب أن تنامي مثلها..

- لا أريد النوم.. أريد الموت..

- أنت تقولين هذا فحسب بسبب ما حدث لك.. ستتعافين

- كلا.. لن أستطيع السير مرة أخرى

- أعلم هذا.. لكنك ستتعافين.. كلنا نتعافى في النهاية

- كلنا نقول هذا الهراء ولا نتعافى أبدًا..

- أتعلمين.. والدي توفى وأنا طفلة.. ظللت مع والدتي.. أنا وهي.. بلا أخوة ولا عائلة.. بلا أحد.. كانت لطيفة للغاية.. والدتي.. لكنها تصرخ أحيانًا.. تنتابها تلك النوبات.. ثم تمارس حياتها بشكل عادي.. كلنا تنتابنا تلك النوبات بشكل أو بآخر.. أليس كذلك؟

- كانت؟

- نعم.. قبل أن أذبحها.. قبل أن تأتوا أنتم لتقولوا لي أن العالم ينتهي.

وقفت ريهام وأخرجت سكين المطبخ الحادة.. السكين تركت جرحًا حادًا في ظهر ريهام حيث كانت تخبئها..

- أنا لا أعلم.. لم أعد أعلم.. كل ليلة أخلد للنوم وأخطط ليومي غدًا.. أذهب للعمل.. أخرج في إجازتي.. لكن الملل أتلف روحي.. تلك الحياة لا تستحق.. وأنت.. مشلولة.. فلا تحاولي الهرب.. هيا بنا لننام..|

اقتربت ريهام من رنا ووضعت النصل الحاد على عنق الأخيرة.. ارتجفت رنا ودمعت عيناها.. بدأت ريهام تجز النصل ببطء.. ليخترق الجلد الناعم

مسببًا هذا الاحمرار الصاخب السابق لتدفق الدماء..

انتفض جسد رنا وتصلب من الألم..

ابتسمت ريهام وقبضت على السكين بقوة أكثر استعدادًا لقطع العروق الصغيرة التي بدأت في الانقباض..

صفعت رنا ريهام على وجهها بقوة وبصقت في وجهها.. الصفعة كانت قوية.. تراجعت ريهام للوراء وعلى أثر هذا تحرك السكين على عنق رنا مسببًا جرحًا مؤلمًا..

صرخت رنا في جنون ثم قفزت واقفة واحتضنت ريهام وسقط الاثنان أرضًا..

لم تعلم رنا كيف حدث هذا.. أليست مشلولة.. الغضب يفعل الكثير.. يدها تقبض على يد ريهام الحاملة للسكين.. بينما جسدها فوق جسد الأخيرة.. كانت تعلم أن ريهام ستستعيد قواها.. كانت تعلم أنها - رنا - مجرد نصف إنسان الآن وريهام ستنهيها فور أن تستعيد توازنها وتعود لواقع ما يحدث.. لكنها ما زالت مندهشة وخائفة.. تلك المرأة لم تصارع أحدًا في حياتها.. عليها - رنا - أن تفعل شيئًا قبل أن تستيقظ الشخصية العملية داخل ريهام وتحسب الاحتمالات..

عنق ريهام كان أمامها.. وهناك عرق ما ينبض.. أتعضها؟.. أصابتها الفكرة بالغثيان.. كارم قادر على فعل شيء كهذا لكن هي؟.. كلا..

شعرت بجسد ريهام يزداد قوة..

ستقلبها الآن.. وينتهي الأمر..

عضت رنا يد ريهام بشراسة وهي تبكي.. صرخت ريهام.. أفلتت يدها السكين.. أخذت رنا السكين وهي تبكي وغرزته في عنق ريهام بسرعة..

السكين كان حادًا ولم يتخاذل في أداء عمله.. دلف لعنق ريهام الممتلئ بسلاسة وتقيأت ريهام نهرًا من الدماء في وجه رنا..

شهقت الأخيرة وفتحت فمها لتستنشق الهواء كأنها تخرج من عمق البحر..

ريهام الآن جثة هامدة..

رنا جوارها.. لن تبقي هنا.. أين كارم؟... هي بحاجة إليه..

ستزحف للباب.. ستخرج من تلك الشقة الملعونة.. ستجد كارم.. سيتكفل هو بحل كل شيء..

*****

الفصل الخامس عشر

يد رنا الصغيرة الملوثة بالدماء تدير المقبض وتسحب الباب للوراء بصعوبة وتزحف للخارج.. تزحف ببطء وهي تئن في ضعف: كارم..

تدفع بجسدها للأمام تاركة أثرًا من الدماء وراءها..

- ها هي ذا..

- كارم..

- احملها وادخل بها تلك الشقة..

ترتفع رنا لأعلى.. ترى وجه المرسل أمامها.. نرى وراءها النافذة المفتوحة..

- ستحلقين الآن.. كالطير..

يقول المرسل الجملة في شرود ثم يردف: سكان البناية ١٠٦.. لم نذبحهم جميعهم.. الباقون يتظاهرون أنهم ليس هنا لا أكثر ولا أقل.. لا اتصال بالعالم الخارجي.. لا مساعدة.. هم وحيدون.. في مجتمع كون نفسه بنظام القبائل.. يعيش المرء مع عائلته ثم يخرج ليعيش مع عائلة يكونها لنفسه.. فإن الوحدة شيء مخيف.. أن تكون وحدك حقًا.. في ليلة كتلك.. في منتصف الليل.. تسمع صوت أحدنا يتحرك خارج باب شقتك.. في بنايتك

المعزولة عن العالم.. وتعلم أنه لن يكون هناك سوى الدماء.. الكثير منها.. في ليلة كتلك..

ثم مسح المرسل بيده على وجه رنا المذعور.. وقال: لندلف للشقة.. جميعنا مرهقون وبحاجة للراحة..

تحرك بها الضخم ودلف للشقة.. وقف آخر على الباب بينما دلف ثالث مع المرسل للصالة..

اردف المرسل: بإمكاني أن أفعل ما أشاء اليوم.. أنا لست وحشًا.. لست مختلًا.. في الحقيقة أنا رجل عائلة.. تخرجت في كلية قمة وعائلتي ثرية وذات نفوذ.. أنا أحب مظهري الاجتماعي وزوجتي وابنتي الصغيرة.. لكن منذ أن انضممت للمنظمة أدركت أن جميعنا بحاجة لبعض الأشياء.. الأشياء التي كنت أفعلها قبل انضمامي إليهم وأخاف أن يعاقبني أحد عليها.. الآن أفعلها وأنا أعلم أن أحدًا لن يعاقبني.. كالحصول على عذرية قاصر.. أنا مجرد رجل جيد يضعف أحيانًا.. لكن المنظمة علمتني ألا أكون قاسيًا على نفسي.. كما أنني متدين.. أنا أخاف الله.. في الحقيقة أحيانًا ارتجف وتدمي عيناي مما فعلته.. لكني أضعف.. وأعلم أنه سيسامحني..

ثم اقترب المرسل من رنا وأردف: أرجو أن تسامحيني أنت لأني أصبتك بالشلل.. لكن المنظمة كيان لا يجب أن يعلم أحد بوجوده.. نحن في كل مكان.. نحن مدرسو أطفالك في المدرسة.. نحن المعدون لبرامج الحمقى في التلفاز.. نحن منتجو الأفلام وموزعو الكتب.. نحن من نجمع أوراق الانتخابات ونفرزها.. إننا يافطات الإعلانات الضخمة على الطرق والكباري.. نحن دواء منع الحمل.. والواقي الذكري على زوجك.. إننا طعامك ومنتجات نظافتك.. نحن الحياة..

ثم هز المرسل رأسه وتنهد ليأخذ نفسه وتابع وهو يتحرك: أتعتقدين حقًا أن مؤشرات البورصة وسعر العملة يخضعان للنظام الاقتصادي الجديد؟.. أتعتقدين أن هؤلاء المتحرشين والمغتصبين في الشوارع يكتفون فقط بالتحرش؟ حقيقة إن هؤلاء المتحرشين ليسوا منا ولا نتحكم بهم.. إنهم

مخلفات الطبيعة.. لكننا نرى كل ما يفعلوه.. إننا نرى كل شيء.. لقد شهدنا الطبيعة البشرية.. الجشع.. الشهوة.. ما

يفعله العامة يجعلنا ملائكة..

ثم هز المرسل كتفيه وأردف: اسمي شريف

ظلت رنا تنظر إليه صامتة.. وجهها يتصبب عرقًا.. تلهث.. لا شيء آخر..

ابتسم شريف وقال: لنلعب لعبة.. لا تفكري كهذا.. لعبة نفسية.. سأقول كلمة وتقولين أول شيء يخطر ببالك وهكذا..

-.....

- هيا لا تكوني سمجة.. سوف أبدأ.. خيل

-.....

تنهد شريف ثم اتجه لرنا وقبض على إصبعها وقطع طرفه بسكينه الصغير وكرر: خيل..

باكية قالت رنا: حقل..

- ضفدع

- نهر مظلم..

- هممم.. نهر مظلم.. هذا جيد.. حسنا... الحب..

- توقف..

- الحب..

- لا أعلم..

- ها..

- الحب..

صرخت رنا..

- ها.. أعتقد بعض الأشياء ليس لها أفكار مقابلة حسنًا ماذا عن المدينة؟..

- خوف

- كارم.؟

صمتت رنا وبكت..

- كارم؟..

- لا أعلم.. حقا لا أعلم..

ابتسم شريف وقال: سينتهي كل شيء الآن.. لكن هناك طقوس لا بد أن تحدث.. سوف يغتصبونك.. وبينما هم يفعلون هذا سيمزقون جسدك بالسكين ويقومون بخنقك.. هذا سيزيد من حماستهم.. بعدها سيضربونك قليلًا ثم يرمونك من النافذة.. لو كان الأمر بيدي لوضعت رصاصة في رأسك.. لكن الأمور أخذت منحنى آخر تلك الليلة.. البناية ١٠٦ أصبحت من ممتلكات المنظمة..

أغمضت رنا عينيها.. وفي عقلها طاف حلم.. كانت لوحدها في قطار راحلًا بعيدًا عن كل هذا ويمر بحقل أخضر به طفلة ترتدي الأبيض.. حاولت رنا أن

تبتسم.. ثم بدأ الألم..

أولاها شريف ظهره ووقف قبالة النافذة وغمغم: سينتهي كل شيء قريبًا

ثم أخرج هاتفه الخلوي غير الخاضع للشبكة المحلية المقطوعة واتصل بالكهل.. أتاه صوت الأخير

- لقد انتهى كل شيء..

- كنت واثقًا من قدراتك.. أنت عنصر فعال لدينا..

ابتسم شريف متكلفًا في قليل من الجمود ثم وضع الهاتف في جيبه..

نرى العجوز يجلس في مكتب فيلته.. يرتدي روبًا فاخرًا.. أمامه حاسب آلي مفتوح.. نقترب من وجهه.. لا نستطيع تحديد ماهيته.. ولا فيما يفكر.. نبتعد في حيرة..

نرى شريف ونسمع صرخات رنا..

ولتبدأ الشاشة في الإظلام معلنة الخاتمة.....

يقول شريف: لنلعب اللعبة مرة أخرى... السعادة

باكية نظرت له رنا ولم ترد

كرر شريف: السعادة..

أتاه الصوت من ورائه: شيء لن تذوقه أنت مرة أخرى..

التفت شريف للوراء.. ورفعت رنا رأسها بلهفة ناظرة إلى مصدر الصوت حيث وقف كارم... غارقًا في دمائه.. يقف في هدوء وصلابة..

لم يتكلم شريف.. فقط بادل كارم النظر في صمت..

تتراجع الكاميرا للوراء شاملة كارم وشريف ورجال الأخير وهم واقفون يتبادلون النظرات..

نرى وجه رنا وهو ينظر إليهم..

نرى وجه كارم.. وجه شريف..

نتقرب من كارم.. لقد عاد.. تغلب على ألمه وعاد.. تذكر وهو صغير يعدو في الحقل.. ها هو ذا الآن.. وها هم.. سيدفعون الثمن جميعًا..

ثم تحرك كارم..

غرز إصبعيه بسرعة وقوة في عيني الرجل الواقف على باب الشقة أمامه..

صرخ الرجل في حنق وحاول أن يستدير لكن كارم التف وراءه بخفة وثبته من الوراء وزاد من ضغط إصبعيه داخل رأس الرجل.. تصلب الجسد وانتفض ثم سقط أرضًا..

توقف الرجلان ورمي أحدهم رنا أرضًا ونظر كلاهما إلى كارم الواقف على الباب الذي قال ببطء غاضبًا..

- ابعدوا عن زوجتي

نظرت رنا إلى كارم مرة أخرى..

ممزق الثياب.. مخلوع الكتف.. الدماء تغرق وجهه وجسده.. ويتنفس..

الدماء تغطي كل إنش من جلده.. وهناك ألياف عليه..

اتجه الرجلان تجاه كارم..

أخرج كارم مسدس ساقية صغيرًا من طراز كولت وجده في شقة المهندس ذي الوجه المحروق ولم يفد السلاح صاحبه كثيرًا.. وقال كارم بصوت مبحوح: موتوا يا ولاد الوسخة

أطلق أول رصاصة ولم تصب أحدًا منهم..

الرؤية مهتزة.. الرجلان يقتربان..

أطلق ثاني رصاصة فطاشت..

يده ترتجف.. عليه أن يحكم التصويب..

الرجلان يعدوان تجاهه..

إصبعه يعتصر الزناد.. عظام يده تؤلمه..

طاشت رصاصة أخرى وكادت أن تصيب رنا..

ثلاث رصاصات متبقية..

أطلق رصاصة رابعة.. وخامسة وسادسة..

في ثانيتين خرجت الرصاصات الثلاث..

توقف أحد الرجلين ونحر كالخنزير بينما الثقب في عنقه يقيء دمًا.. سقط الآخر في سرعة مخيفة وارتطم بالأرض في عنف عندما مرت الرصاصة من رأسه للفراغ تاركة وراءها دائرة من كرات الدم في الهواء..

نظر شريف لرنا ثم اتجه لكارم..

لم يقل أي من الرجلين شيئًا.. لم يعد هناك كلام.. إنها لحظة الحقيقة..

التحم الرجلان.. شريف كان أكثر صلابة وعافية من كارم.. كان يعلم أين جروح الأخير وكيف يؤلمه..

لكمه في وجهه وركله بقوة ثم لوي ذراعه المستقر من مكتفه المخلوع.. صرخ كارم وسقط أرضًا.. الألم.. ألم العظام اللعين هذا.. صاخب وغير متوقف.. صرخ كارم مرة.. أراد أن يبكي من الألم.. لكنه هو.. كارم العدوي.. لا يبكي.. أجبر نفسه على الضحك.. وبدأ يضحك بصوت عال ويقهقه..

ثم نظر لرنا.. لجسدها.. عليه أن يحميها..

صرخ مرة أخرى كالمجنون ثم احتضن شريف وعضه في رقبته.. شعر بأسنانه تحاول يائسة اختراق جلد الأخير دون جدوى.. ثم شعر بالسائل المالح يتسلل لفمه.. وتصلب جسد شريف بين ذراعيه.. وبدا لرنا أنهم في لحظة رومانسية..

بصق شريف دما وارتمى على ظهره بينما الدماء تتدفق من عنقه..

بصق كارم دم شريف من فمه وغمغم: يقولون عليها قبلة الوداع يا صديقي..

غمغم شريف وهو يحدق في الفراغ: كل هذا من أجل امرأة؟

- إنها زوجتي..

قال كارم العبارة ثم ارتمى على ظهره هو الآخر.. قبل أن يردف: في الحقيقة لا أريد أن أفاجؤك لكنها ليست زوجتي..

ثم اعتدل واقفًا وصرخ من الألم وهو يفعل هذا.. رفع رنا وسندها على كتفه السليم وقال: متبق ثلاثة.. هيا سنخرج من تلك البناية اللعينة..

زحف كارم ورنا خلال طوابق البناية بينما الخوف يعبق طريقهما.. لم يكن هناك أحد.. بخلاف جثث وأشلاء ممزقة ودماء بين حين وآخر..

لم يكن هناك شيء آخر..

وصلا للطابق الأول وخرجا من البناية.. الباب لم يكن موصدًا..

وقف الاثنان في الهواء الطلق..

إنه وقت الغسق..

لمح كارم الطائر الأسود يحلق مبتعدًا..

ونظر إلى البنايات المقابلة للبناية ١٠٦.. قابعة في صمت.. تخفي أسرارها.. وتنظر لهم في لامبالاة..

اتجه الاثنان لدراجة كارم البخارية وأجلس كارم رنا وراءه..

قالت رنا: م.. ماذا سنفعل؟

- سنرحل.. إلى مكان لا توجد فيه كاميرات مراقبة ولا هواتف خلوية.. مكان لا يوجد به بشر.. لقد قال لي أن أي أحد ممكن أن يكون منهم..

- لا وجود لمثل هذا المكان..

- بل يوجد.. الطبيعة هي ملاذنا الآن..

ثم نظر كارم للدارجة ولسيارة قريبة.. وقال لرنا: لنأخذ تلك السيارة.. بابها مفتوح وبها مفاتيح

حمل كارم رنا بين ذراعيه بصعوبة واتجها للسيارة.. وأجلس رنا في

المقعد الأمامي قبل أن يدلف جوارها..

أدار كارم مقود السيارة عندما اعتدل الضخم في المقعد الخلفي وغرز نصلًا معدنيًا بين ضلوع كارم.. صرخت رنا بينما تشنج كارم وانطلق بالسيارة فارتد جسد الضخم للوراء.. ولمح كارم آخر يخرج عدوًا من البناية تجاههم فأدار المقود بقوة واندفع اتجاهه..

ارتطمت السيارة بالرجل الذي سقط على الكبوت الأمامي قبل أن يتدحرج بعيدًا ليسقط أرضًا..

لم يتوقف كارم.. زاد من سرعته وتأرجحت سيارته لأعلى ثم لأسفل عندما مرت فوق جسد الرجل..

أحاط الآخر في مقعد سيارته الخلفية ذراعه بعنق كارم وبدأ يضغط..

ذراع كهذا لن يخنق كارم.. سيدق عنقه فورًا.. أمامه ثانية واحدة ليفكر في شيء يبقيه على قيد الحياة.. فرمل السيارة بعنف ولكم الزجاج الأمامي بيده فكسره وقبض بيده الدامية على قطعة الزجاج التي استقرت بها وضرب رأس الرجل بها.. لكنها انكسرت على رأسه ولم تنغرز فيه.. أطلق كارم سبة وصاح: لم يعد الزجاج كما كان في تلك الأيام.. ثم طوح يده للأمام.. زمجر الرجل وضغط بقوة على عنق كارم.. عاد كارم بيده بسرعة حامية.. انغرزت الزجاجة في عين الرجل.. فتح فمه وتوقف جسده عن الحركة بينما سال جزء من بياض عينه المختلط بدماء مصفرة على كتف كارم..

وضعت رنا يديها على جسد كارم في ذعر وهتفت: أنت بخير؟

- كلا.. لكن علينا أن نخرج من تلك المنطقة اللعينة.. واحد متبق.. هيا بنا..

ثم أدار محرك السيارة لكن شيئًا لم يحدث..

- تبًا..

وبطرف عينه رأى السابع يخرج من البناية ويتجه إليهما..

فتح كارم باب السيارة وخرج متجاهلًا آلام جسده.. كاد أن يتعثر لكنه قفز للأمام كي يظل واقفًا واندفع ليفتح باب رنا.. حملها بين ذراعيه وصرخ ظهره احتجاجًا.. بدأ يسير بها محاولًا أن يعدو في الشوارع المقفرة وقت الغسق دون أن ينظر وراءه للسابع المتجه إليهما..

احتضنت رنا كارم ودفنت رأسها في صدره.. هم ليسوا حقيقيين.. لن تراهم.. ستختبئ في صدر كارم..

زاد من سرعة قدميه وكاد أن يسقط مرة أخرى..

الرجل يقترب منهما.. الرجل ذو الساطور.. بإمكاننا أن نرى أجزاء من شرايين عنق ابن البواب على الساطور.. نرى وجه الرجل الجامد وجسده المنتصب.. يسير في تصميم وإرادة تجاه الزوجين..

تتوارى الشمس في خجل لترسل أشعتها الحمراء..

نرى متوسلًا يستيقظ من نومه على الرصيف وينظر لهما في عدم فهم..

نرى أحدهم هنا وهناك ينظرون إليهما من شرفات منزلهم..

نرى سيارة تتوقف وتستدير مبتعدة عنهما..

يقترب الرجل وتقبض يده على الساطور..

أمام كارم كانت حافلة ضخمة..

مصر الجديدة..

إلى أي مكان ستتجه الحافلة؟.. إلى الجحيم.. فقط عليه أن يخرج منها.. عليه أن يصل للحافلة.. آلام ظهره تتزايد.. تزوغ عيناه أكثر ويعنف الدوار برأسه..

سيسقط أرضًا.. سينتهي كل شيء..

وصل للحافلة.. صعد بصعوبة.. متجاهلًا نظرات الركاب وذعر محصل

التذاكر..

وقف الرجل قبالة الحافلة.. ثم صعد إليها..

بداخل الحافلة وقف في جمود بينما جالت عيناه بين الركاب بحثًا عن كارم ورنا..

سار للأمام في حذر.. ثم رأى رنا جالسة تنظر إليه في ذعر..

التفت للوراء بسرعة..

لم يجد أحدًا..

- أنا هنا يا صديقي..

هتف كارم ورمى جسده بضعف ليسقط فوق الرجل..

وقبض على الساطور في يده.. حاول الرجل أن يدفع كارم بعيدًا.. لكن الأخير كان مصرًا.. مصرًا على ألا يموت في تلك الليلة تاركًا رنا لهؤلاء الرجال..

ركل كارم الرجل بين ساقيه.. وأرخى هذا من قبضته على الساطور.. حاول كارم أن يأخذ الساطور لكن قبضة الرجل كانت قوية..

دفع الرجل كارم للوراء ثم لكمه بقوة في ضلوعه وقفصه الصدري عدة مرات.. بصق كارم دمًا أسود ثم سقط أرضًا.. رفع الرجل الساطور عاليًا فور أن تحرر..

قبض كارم بيده على ما بين ساقي الرجل وظل يعتصر في قوة وجنون.. تصلب وجه الرجل في ألم وفتح فمه وصرخ وسقط منه الساطور.. تجاه عنق كارم..

لتحميل المزيد من الكتب والروايات الحصرية والمميزة والنادرة والجديدة ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات

رفع كارم يديه لحماية جسده واستقر الساطور بين أصابع يده.. صرخ

في ألم وثارت الدماء في كل صوب.. ثم أفاق على وجه الرجل.. بيده الأخرى حرر الساطور من بين أصابعه ثم ضرب كعب الرجل به بكل قوة.. اخترق الساطور العظم واللحم وسقط الرجل أرضًا بشكل مضحك.. اعتدل كارم بسرعة فور أن حدث هذا وغرز الساطور في أم رأس الرجل.. تصلب جسد الأخير لثوان والتحمت عيناه ثم سقط على ظهره وسالت دماؤه بنعومة وخجل كفتاة في ليلة زفافها..

تمر أقدام الركاب المذعورة جوار رأس كارم.. لم ينته الأمر بعد.. عليه أن يأخذها ويرحل..

لو أتت الشرطة والصحافة لانتهى الأمر..

بإمكان أي أحد أن يكون منهم..

الحافلة خالية.. سيقودها.. حيث لا تزال الطبيعة تنبض بالحياة..

عليه ألا يغلق جفنيه.. عليه ألا ينام الآن..

*****

الفصل السادس عشر

بعد عشرين يومًا

المكان: قرية الصيادين.. شمال الإسكندرية..

الزمان: التاسعة مساء...

في الكوخ الخشبي المتهالك المطل على البحر الثائر انتهت المرأة العجوز ذات الوجه الحافل بالتجاعيد من غلي الإناء المعدني الضخم أمامها.. وصبت منه بعض الشاي في كوب صغير متسخ وجذاب..

وأعطت الكوب لرنا الجالسة على أريكة من القش شبه مفترشة على الأرض..

خرجت المرأة العجوز في صمت من الكوخ.. رائحة السمك الميت تعبئ

المكان بينما يمر الصيادون بسراويلهم البيضاء ليحملوا أطنانًا من السمك على متن باخرة عجوز على وشك الإبحار..

في الركن المظلم من الكوخ كان كارم يغط في النوم..

تظلم الشاشة ثم تضيء مرة أخرى..

كارم ورنا جالسا سويًا جوار نار متقدة باعثة للدفء وسط الصقيع..

الصمت يغلف المكان..

وقف كارم واتجه لباب الكوخ

ثم ضحك.. وصمت لثوان ثم أردف: ستكونين بأمان هنا.. وداعًا يا رنا..

ثم نظر إليها وأردف: أنا آسف..

نظرت إليه رنا في صمت.. ثم نظرت إلى البحر.. هي لن تستسلم.. ستتغلب على الظلام.. وتبدأ حياتها هنا مرة أخرى..

ثم توقف على الباب وبدا أنه سيقول شيئًا.. رفعت رنا رأسها إليه وقاطعته: بماذا تشعر؟..

نظر إليها كارم ولم يرد.. ثم عاد إليها واحتضنها بقوة.. وهتف: تلك المنظمة.. لن يستمروا.. أعدك بهذا

نظرت رنا من نافذة الكوخ تجاه البحر بينما النيران تخبو وراءها.. ابتسمت بجانب وجهها.. ثم أغمضت عينيها وحاولت أن تنام متجاهلة الألم في صدرها..

خرج كارم من قرية الصيادين.. ضلوعه تؤلمه بشدة.. ذلك الوغد أصابه جيدًا بها..

جلس على الرمال وحيدًا.. الألم في ضلوعه يزداد.. هذا الألم اللعين يصاحبه لمدة عشرين يومًا.. منذ كسر الوغد ضلوعه.. جراحه الأخرى وكتفه.. آلامه لا تحتمل.. لكن الوقت يخففها تدريجيًا.. لكن آلام ضلوعه

تتزايد وليس العكس..

يشعر بقفصه الصدري ينقبض.. يشعر بضلوعه تتحرك لأعلى.. يشعر بهم ينبشون مخالبهم ويمزقون جدار معدته وصدره.. يتهاوى للوراء ويشهق.. يجاهد كي يتنفس.. هذا الألم اللعين..

لا يستطيع أخذ نفسه..

تصلب جسده..

تذكر كارم لمحات من طفولته

كان كارم طفلًا عندما توفى والداه في حادث السيارة..

كان يعدو بقوة في الحقل الأخضر وهو يبكي بعدما هرب من الملجأ

قصر ضخم مطل على بحر الإسكندرية به لوحة ضخمة يقف أمامها كارم وهو ينظر للذئب في اللوحة المطلة على وادٍ به حملان

في القطار كان كارم يجلس قبالة طفل في السابعة من عمره..

والدة الطفل نائمة جواره.. أين والده؟.. ربما في العمل.. لا تبدو المرأة كأرملة أو مطلقة.. لا بد من أن زوجها من هؤلاء الذين يتظاهرون بالرجولة الشرقية والغضب لأتفه الأسباب ثم يترك زوجته تسافر وحيدة مع ابنه لأنها تريد زيارة أهلها أو شيء من هذا القبيل..

الطفل كان يرتدي سروال جينز أنيقًا وتيشيرت أحمر غامق.. كان قبيح الشكل.. كريه الرائحة..

تجاهل النظر لنصف العائلة الماثلون أمامه ونظر من نافذة القطار.. حقول ضخمة خالية من أي معنى.. زينة لا معنى لها وضعها أحدهم دون سبب..

عاد كارم بنظره للطفل.. كان يعبث في هاتفه الخلوي الضخم.. نظر كارم لكاميرا الهاتف التي تضيء وتخبو بالأبيض كل ثانية.. نظرت الكاميرا لكارم وتحول اللون الأبيض لأحمر..

ابتسم كارم

من الوصايا العشر للمنظمة التي اقترحها عليهم منظمو فريق التسويق لديهم وأصبحت تلك رسائلهم التي تبث للاوعي المستهلكين وراء اي من ملصقاتهم وإعلاناتهم التجارية:

شاهد التلفاز

لا مخيلة

استهلك

تزوج وانجب

المال هو إلهك

كن مطيعًا

انشغل بما نريده نحن

كن نائمًا

لا تتعاطف مع أحد وكن لامبالٍ..

لا تفكر

في منزل ما تقترب الكاميرا من طفل ابن الثلاث سنوات جالس أمام المنضدة التي تحمل طبقًا من الكورن فليكس الخاص به.. الطفل كان يضحك.. نقترب من علبة الكورن فليكس.. نرى اللوجو الأحمر الخاص بالمنظمة.. يملأ اللوجو الشاشة.

تظلم الشاشة

الفصل السابع عشر

حسين - البلطجي أخو حمادة - كان بشقته الجديدة بالمقطم نائمًا.. فتح عينيه ببطء واتسعت عيناه عندما رأى كارم واقفًا أمامه في الظلام..

هتف حسين: م.. من أنت؟

- أنت سمعت عني.. وغالبًا ستبحث عني.. أنا لا أحب البلطجية.. لا أحب المتحرشين.. أنا لا أحب هؤلاء الذين يؤذون.. أنا أحب أشياء أبسط بكثير.. كالفن.. الموسيقى.. البحر.. الحسناوات.. لا أعتقد أنك قادر على تذوق مثل تلك الأشياء.. لقد كنت أشعر بالسأم قررت أن أزورك.. الاسم هو كارم العدوي..

خرج كارم من شقة حسين وهو ملوث بدمائه واتجه في قلب الليل لشقة ماجي وهو منهك إثر صراعه مع حسين..

رفعت ماجي رأسها ونظرت في عين كارم..

- أهذا هو كل ما حدث؟

أومأ كارم برأسه في إرهاق وقال: نعم

- هشام يعلم؟

- نعم.. لقد أخبرته.. هو يرعى رنا الآن..

- القصة صعبة التصديق يا كارم

- أعلم هذا... وأعلم أيضًا أنك في أمان.. طالما هواتفنا في الغرفة الأخرى ولا يوجد الكترونيات تعمل لن يعلم أحد أني أخبرتك شيئًا..

- قصتك بها حلقات مفقودة

- أعلم هذا

ثم قال كارم: من الذي أخرج كريم السنباطي من المصحة؟.. لماذا دلف

كريم لسيارة رنا؟.. كيف علم كريم المختل نفسيًا بشأن ما الذي سيحدث في البناية ١٠٦؟.. كيف يتوقع أي أحد ما الذي كان سيحدث؟.. ولماذا يكتب تحذيرًا؟..

نظرت إليه ماجي في صمت مفكرة قبل أن تقول: أنت لن تتوقف قبل أن تعرف إجابات تلك الأسئلة أليس كذلك؟

أومأ كارم برأسه أنا نعم.. ثم وقف واتجه لشرفة ماجي المختبئة وراء الستار الأبيض.. خرج ووقف ينظر للمدينة في وقت الغسق.. خرجت ماجي ووقفت وراءه.. غمغمت: لماذا أتيت إلي؟.. لماذا تخبرني كل هذا؟

ساد القليل من الصمت قبل أن يقول كارم: أحيانًا نحن بحاجة لصديق.. وإلا أصابنا الجنون.. أنت أقرب شيء للصديق بالنسبة لي..

نظرت له ماجي في صمت.. تبتعد الكاميرا ونرى كارم يرمق الشارع.. لوهلة يبدو لكارم أنه رأى المتسول ذا الشعر الأسود واللحية والثوب.. لعلها ألاعيب عقله..

نظر المتسول ذو اللحية لكارم وماجي في الشرفة ثم اتجه لزقاق خالٍ وفرد قامته.. ومد يده وتخلص من اللحية والشعر المستعار

.. وخلع الثوب الممزق.. كان يرتدي حلة أنيقة أسفله..

***

- من الذي أخرج كريم السنباطي من المصحة؟.. لماذا دلف كريم لسيارة رنا؟.. كيف علم كريم المختل نفسيًا بشأن ما الذي سيحدث في البناية ١٠٦؟.. كيف يتوقع أي أحد ما الذي كان سيحدث؟.. ولماذا يكتب تحذيرًا؟..

- شيء مريع سيحدث في البناية ١٠٦

- نظر المتسول لكارم وابتسم

- العجوز ومدير المنظمة كان يجلس في مكتبه أمام حاسبه الآلي وهناك

ثقب رصاصة في رأسه شاخصًا بعينه للسماء..

- نرى ما كان يكتبه العجوز قبل موته: لقد انتهت المنظمة.. هذا الرجل الذي يلقب نفسه ببعل الذباب.. لقد كان يراقبنا ونحن نراقب الجميع.. لا أعلم كيف لكنه توقع كل خطواتنا.. لا أحد يعلم من هو.. لكننا انتهينا وخسرنا كل شيء.. لقد استطاع هذا الرجل إسقاط شبكتنا كلها..

- نرى جثة ندى المدربة وأحمد التيم ليدر في سيارتهما

- نلمح الظل الذي يقترب من بكر وهدير المحتضنين لبعضهما البعض في غرفة الكواليتي " مراقبي الجودة ".. ونتبين وجه المتشرد من دون لحيته المستعارة..

***

المكان: قرية الصيادين

الزمان: ليلًا

رنا كانت تجلس ترسم أمام البحر وحيدة عندما شعرت بكيان جوارها.. نظرت جوارها إلى رجل متوسط الطول يكتنفه الظلام فلا ترى وجهه..

- أنت منهم؟ جئت لتقتلني؟

- كلا يا صغيرتي.. أنا الذي فعلت ما فشل فيه كارم صديقك.. أنا الذي أنهيت تلك المنظمة.. لقد أرسلت لك تحذيرًا مع كريم لكنك تجاهلته..

نظرت رنا للزائر في صمت وفضول.. ثم قالت بكآبة: ماذا تريد مني؟ لقد فقدت حياتي كلها

- كلا.. هم ليسوا موجودين الآن.. لن يجدوك لأنني أسقطت شبكتهم الإلكترونية..

- من أنت؟

- أنا بعل الذباب

- يا له من اسم غريب

- بإمكانك أن تقولي إني أحب الأسماء ذات الإيقاع الدرامي.. أنا بعل الذباب.. سيد الفوضى.. لا أحب التحكم والنظام.. ولم أحب نشاطات تلك المنظمة.. أنا أدعم الحرية

- ماذا تريد مني؟

- عندي لك عرض.. انضمي إلى.. وكوني من أتباعي.. وسأعيد لك قدرتك على المشي.. في تلك اللحظة..

نظرت له رنا دون أن تبدي رد فعل.. أردف الرجل وهو يمد يده إليها: ثقي بي.. أنت مقاتلة.. أنا أعلم ذلك.. لا تستسلمي الآن.. مدت رنا يدها للرجل الذي أخرج من جيبه مصلًا.. احتضن رنا في حنان ورفعها عاليًا.. غرز المصل في ظهرها.. تأوهت رنا.. وأغمضت عينيها.. ولثوان لم يحدث شيء.. ثم شعرت بالألم الحارق في جسدها.. شعرت بساقها تتحرك.. ضحكت رنا واحتضنها الرجل أكثر.. قبل أن يبلعهما الظلام

قبل تلك الأحداث بعدة شهور:

المكان: المصحة النفسية

كريم السنباطي كان يجلس بهدوء ينظر لزائره في المصحة..

- ماذا تريد مني؟

- سأخرجك من هنا.. أنت مقاتل.. وأنا أعلم أنك لا تريد أن تقضي باقي حياتك هنا.. ستكون من أتباعي.. كل ما أريده منك هو توصيل رسالة معينة لفتاة.. أريدك أن تتحكم في غرائزك الطبيعية وتوصل لها رسالة فحسب.. هي لك بعد هذا..

- من أنت؟

ابتسم الرجل وقال: بإمكانك أن تدعوني ببعل الذباب

*****

ما بعد النهاية

تسطع الأضواء الصناعية فوق المدينة في منتصف الليل.. وتتحرك السيارات ببطء وسط المباني الزجاجية الراقدة بلا مبالاة وسط الحياة الصناعية التي تحكمها الآلات.. انسل الظلام ببطء كالجاثوم وهو يعتلي صدر المدينة العارية.. وعلى شاشة إعلانات ضخمة ارتسم وجه فتاة آسيوية تضحك وهي تشير لمعجون أسنان ما.. تحركت السيارة السوداء ببطء.. تسير الكاميرا مع السيارة مرتكزة بعدستها الأمامية على السيارة وعلى انعكاس طلاء السيارة اللامع نرى وجوه البشر والإعلانات الملصقة والمباني في المشهد الخارجي.. نمر بفتاة ليل تقف على الرصيف.. شعرها أشقر مصبوغ.. ترتدي فستانًا جلديًا قصيرًا مشدودًا على جسدها النحيف.. نرى رجلًا بدينًا يدخن وينظر إليها وسيارة تقترب منهم... نرى ملصقًا إعلانيًا لمسلسل سوف يتم عرضه في رمضان.. وتبتسم بطلة في سعادة تخبرك أن الحياة وردية.. تنعطف السيارة يمينًا وتنعكس على طلائها الأسود اللامع أضواء المدينة الصناعية.. نرى مبني زجاجي ضخم ونلمح في إحدى طوابقه فتاة شبه عارية تتحرك وتلوح بيدها وهي تتحدث في الهاتف.. تزيد السيارة من سرعتها.. تتشابه الوجوه وتختلط ومثلها تفعل المباني.. تتوقف السيارة فجأة.. تتحرك الكاميرا ببطء لتريك سبب توقف السيارة بينما تتصاعد موسيقى ما في الخلفية.. ترى قطًا أبيض بدينًا يرتدي سلسلة هرب من بيت ما يقف أمام السيارة وينظر إليك.. تستدير السيارة متفادية القط وتكمل مسيرتها.. نحن الآن في ميدان ضخم يقبع في قلب الليل كابن ضال بعد أن فقد مارته في ازدحام النهار.. تتوقف السيارة وتنفتح نافذتها.. يتحرك زجاج النافذة للأسفل ببطء بينما تتموج عليه الألوان الصناعية.. يندرج الزجاج لأسفل في نعومة ولا نرى سوى الظلام يكتنف السيارة.. ثم نرى يد السائق تخرج ببطء وتلقي بلفافة تبغ.. يده كانت صلبة.. وكان يرتدي قفازًا جلديًا أسود.. تواصل السيارة

maktabah.blogspot.com

مسيرتها.. علي يميننا نرى سائق أجرة يعنف متسول شوارع في الثانية عشرة وجوارهم في الخلفية نرى شقراء تتأبط ذراع حبيبها وهما يدلفان لسيارته... تنعطف السيارة يسارًا وتزيد من سرعتها... أمامنا نرى مجموعة من المارة يسيرون سويًا وقد يبدو لنا أنهم يتعاطون عقارًا ما.. كلهم في حالة من الشرود.. نظروا للسيارة في وجوم ونصف اهتمام وهي تمر جوارهم.. نقترب بالكاميرا من عجلات السيارة وهي تنهب الأرض نهبًا... قبل أن تتوقف العجلات نهائيًا.. ونرى قدم السائق تترجل بعد أن نسمع صوت الباب وهو ينفتح.. نتراجع بالكاميرا للخلف..

كان متوسط الطول.. سكير كعروس في حفل زفافها.. يرتدي حلة كانت أنيقة لكنها لم تعد كذلك بعد أن اعتدى عليها الدهر. كان يترنح.. يحاول أن يسير للأمام.. الخمر تغرق قميصه الأبيض.. شعره الأسود الخفيف متناثر على رأسه.. وجه مستطيل ووجنتين بارزتين.. عينين سوداوين غائرتين للداخل.. أنف مدبب.. فك مستطيل كوجهه.. بصق خمرًا.. وقاوم الدوار.. لن يسقط الآن.. عليه أن يخبره بما عرفه.. نرى جرحًا غائرًا في عنقه يخر خمرًا.. وعدة ثقوب في جدار صدره ومعدته ينساب منها السائل الأزرق في دلال.. أمامه كان مبني زجاجي من طابقين فحسب.. نراه وهو يحاول أن يسير للمبنى.. ونرى أنه لا يرتدي قفازات جلدية في يديه..

من منظور الطائر المحلق نراد من أعلى وهو يسير للمبنى قبل أن يسقط أرضًا.. نقترب بالكاميرا من جسده الهامد قبل أن ندلف إلى رأسه.. بالداخل لا يداهمنا سوى الظلام.. ثم نرى بصيصًا من الضوضاء.. أحدهم واقف في دهاليز عقله وهو يحمل مصباحًا مضيئًا.. نحاول تتبع الضوء.. نحاول ألا نتعثر في الظلام.. لكن الرجل ذا المصباح يبتعد.. نحاول الاقتراب أكثر.. يتوقف الرجل ذو المصباح قبل أن يسلط الضوء على باب ما مشيرًا بنا إياه.. نتجه نحو الباب.. نمد يدًا مرتجفة محاولين فتحه.. ينفتح الباب.. ندلف للداخل حيث تتصارع أفكار السائق..

علي أن أخبره.. لا بد أن أخبره..

maktabah.blogspot.com

الحقيقة شيء غريب.. في النهاية تأتي دائمًا.... تتلاحم الأفكار في عقل الرجل..

لكن على أن أخبره.. التورط أمر غريب.. وأنا قد تورطت.. والآن عندما أنظر للأمر كله من منظور يبدو لي غريبًا.. سطحيًا.. لكني أموت.. وعلى أن أخبره..

نتراجع للخلف ونخرج من الغرفة ونغلق الباب ببطء.. نتراجع للخلف أكثر.. تداهمنا بعض ذكريات السائق.. نراه وهو طفل يجلس على مائدة الطعام مع والديه.. نراه وهو مراهق يقف واجمًا بعد أن توفى والداه في حادثة... نراه يرقد على ظهره فوق فراش ما يرمق السقف.. نرى صورة لعائلته.. هو ووالداه فحسب.. لا أخوة.. تمر بنا الكثير من الليالي التي قضاها وحيدًا... نراه يتدرب.. يمارس الرياضة.. يطلق الرصاص.. يتخرج في الكلية.. يطلق الرصاص مرة أخرى.. نراه يطعن أحدهم.. نراه يداعب فتاته.. نراه يبكي..

نتراجع للخلف.. ونخرج من عقله.. نصعد بالكاميرا لأعلى ونرمقه وهو يزحف على الأرض محاولًا الوصول للمبني تاركًا خلفه خيطًا طويلًا من الخمر..

تنقسم الشاشة لنصفين.. على يمين الشاشة نراه وهو يزحف ببطء محاولًا تجاهل الدوار الذي يكتنف عقله والتنميل اللعين المتسلل لأصابع يديه.. علي اليسار نرى القمر وسط الغيوم ينظر إليّ متعاطفًا.. ثم تتحرك بنا الكاميرا بنعومة هابطة بنا من القمر للسيارة.. ونرى باب السيارة ينفتح..

يبصق السائق خمرًا وهو يزحف.. وعلى يسار الشاشة نرى قدمين تتحركان تجاهه.. ثم يتوقف صاحب القدمين بعد أن وصل لمبتغاه.. على اليمين نرى أن السائق قد اقترب من المبنى..

تعود الشاشة لوضعها قبل أن تصعد بنا الكاميرا ونرمق المشهد من منظور الآلة.. نرى رجلًا متوسطًا يرتدي جاكت جلد أسود قصير وسروال جينز.. معتدل البنيان قوي البنية.. يرتدي غطاء رأس سميك.. يقف فوق السائق الراقد على الأرض.. نراه ينحني تجاه الرجل المفترش الأسفلت....

maktabah.blogspot.com

ينظر في عينيه لوهلة ثم يربت على رأسه ويرحل مبتعدًا تاركًا السائق على الأرض..

تمر عشرون دقيقة لا نعلم خلالها إذا كان السائق لا يزال على قيد الحياة أم لا.. ثم نرى كارم العدوي يخرج من المبني ويتجه نحو السائق.. يفتح الأخير عينيه.. انحنى كارم على السائق ونظر إليه..

قال السائق لكارم: جئت لأحذرك.. هو قادم.. بعل الذباب قادم.. ومعه يأتي الهول

*****

النهاية

العدد القادم: بعل الذباب

بيت الحكايات
maktabbah.blogspot.com